

المقدمة

.

.

وماذا بعد الصَّبْر والليالي الطوال .. ماذا بعد قهر الرجال وخنجر
الغدر..

دمعة واحدة سقطت ليلتها .. حاملة معها عالمًا ب اكمله .. متمثلا
بعائلته .. صديقيه الاقربين.. و محبوبته..

تجرد من كل ما يملكه " ظُلْمًا " .. وتجرع ضيم الليالي في زنزانه
صدئة .. لأعوام .. يرافقه ذكرى صراخ أصم اذنه و سكرات
الموت التي كانت تُنازع .. احدهم..

ليخرج منها خاسرًا سنواتِ عمره ؛ احلامه .. و زوجته..

يحمل على عاتقه ذنبَ يتمتين ووالدتهن..

مالذي ستجزيه الدنيا به اكثر .. وهل للانتقام سبيل اليه .. ام سيقفل
باب الماضي ببرمته .. ؟

ذيب..

38عام

.

كان الشاهد الوحيد على مَا دُبر..
وحاول بكل ما أوتي من قوته ورباطة جأشه ان يأخذ بأقواله .. الا
ان احدهم لم يُصدقه .. ليس لصغر سنه فقط ! بل لاستحالة ان
يكون من يشير اليه هو المتهم..
فلا دليل عليه .. وهو صاحب القلب الأبيض .. و الموقف الاول ..
و الصُحبة الازلية .. كيف له ان يخون ؟ بينما هو المراهق
الصعب .. كثير المشاكل .. الكاذب دون تصديق
فكيف لهم ان يأخذوا بما قال ؟
بل ان الاغلبية قد اشاروا الى شهادته انها ليست سوى غيرة من
عُمق الصداقة اللي جمعت بين عمه و بين ذاك .. و رغبة منه في
تدميرها
لذلك قد كبر .. وكبر الحقد المتأجج بداخله عليهم..
جميعهم بلا استثناء .. واولهم .. " والده.. "

الليث - 31 عام

الفصل الثاني

.

باقي معي من وسعة الصدر شعرة
والنار تصلاني على كبدي صلي..

·
·

قصر آل معتق..

يتمدد على الاريقة ورأسه في حجرها وقد غطى وجهه بطرف
الطرحة السوداء التي تحيط بوجهها ذات الرائحة العبقة بها
..مغمضا عيناه بتعب وأنفاس منتظمة..
يعم الصمت المكان بعدما كان في لجة من أهله وها هو الآن وحده
مع من اصطلوا بنار بعده لسنين..
تضمه والدته وهي تلهج بحمدلله ووالده ينام في السرير المقابل
مضطجعا على يمينه نحوهم يُشير بيديه صامتاً ان ترفع الطرحة
عن وجهه الذي اشتاق حتى يتنعم برؤيته
لتهمس بصوت تخالجه الدموع:
ولا لك لوى يابو عبدالله وليدي غطى وجهه بها ماني برافعتها عنه

..

حتى انا الشوق مكويني على شوفه لين ما اشبع لكن مالي حيلة
ارفعه عنه وهو مرتاح هاللون..
ليقف حينها من سريره مُستنداً على عصاه يتجه نحوهما بهدوء
ليدفع بجسده ارضاً جالساً امامه مُمدداً ساقيه وهو يستند ب ذراعة
على ذات الاريقة بجوار ابنه النائم
يرفع كفه بحنو اليه رافعاً عن وجهه " طرحة والدته .. لتلتهمه
عيناها والدمع يشاركهم اللحظة..

ترفع نورة كفها المُرتجفة الى خصلات شعره السوداء الكثيفة
لتمسح عليها بكل حنية .. بينما والده .. لامس البياض الذي اكتسى
عارض لحيته بشيء من قهر .. لبيت لشريكة الوجد قهره:
آه يا ام عبدالله .. والله ما كان لي منوة بهالحياة الا رجعته والحين
من طاحت عيني على هالشيب اوجعتني حموله وليدي اللي خرج
ليلة عرسه .. رجع لي اليوم مشيب..

وش بيدي اسويه وارجع له من ايامه يتغانمها وش بيدي ؟ ابيه
يعرس ويجيب له من زينة الدنيا عيال يحوفونه بيردون كي قلبه
وش اعطيه من نفسي بس تبرى جروحه ويهدا باله علميني وش
اعطيه كنت اقوم ليلى وانا جى الله و اقول يارب بلغني شوفة وليدي
الذيب قدامي وما عاد ابي من الدنيا شي .. واليوم ب وتري دعيتيه
قلت يارب بلغني شوفة عيال الذيب حوله قبل موتي وقبل لاتاخذ
امانتى..

رفع عينيه المُنهزمين نحوها وهو مدرك تمامًا انها تشاركه الفكر
ذاته ... يرى هطل الدموع المنكسر بلا توقف منها..
ليردف مصممًا على ما قرره لعل نفوسهم تهدأ وتستكين:
انا يا ام عبدالله نويت اروح العمرة مع وليدي الذيب وكانك باغية
هالمشية لبيت الله جهزي نفسك فجر باكر انا وهو وانتي بس باكلم
الليث يحجز لنا طيران على جدة هالفجر.. بنقعد بها ثلاث ايام
ونرجع .. ولا رجعنا تدورين بنت الحلال للذيب وانا ادري به ما
راح يرضخ لهالموضوع بسهولة لك وكتلك امره بعد الله لو تقرنين
رضاك بزواجه

وابد البيت اللي يختار منه تدقينه لو من ما يببها اخطبها له ..
وبيته هذا هو جاهز ووظيفته جاهزة يمك اشغالي مع اخوه
عساف....

مسحت دمعها بكفيها وهي تنحني لتقبيل رأس ابنها:
وانت تحسبني ما فكرت فيه والله لو بيديني من اليوم زوجته ؛ لكن
امرها هين .. نروح بيت الله وندعيه و خل الولد يتنفح ويرتاح

وقليبه يهدا .. ثم ما يصير خاطرك الا طيب يا بو عبدالله..

لم يَعْلَمَا اَبَدًا ان المُسْتَرِيح بينهما لم ينم قط .. باستكانت انفاسه بوجود رائجتهما من حوله .. وان كل ماقاله قد ادركته عيناه قبل حديثهما ذا من نظرات والده سابقًا..

شعر بالضيق يحتله وانفاسه تضطرب ليلتفت على جانبه الايسر موليًا والده ظهره حتى لايرى تبدل ملامحه.. ايعقل ان يخرج من قيود السجن التي فُرِضت عليه ليدخل لقيود سجن اخر فورًا.. كبح غضبه في داخله لساعة اخرى بعد ذهاب والده لفراشه و ب غفوة والدته في مكانها..

ليقف مبتعدًا عنها .. وهو يمدد جسدها برفقٍ على ذات الاريكة ثم يغطيها بلحاف كان على جسده ليخرج من غرفتهما بخطوات هادئة .. مدرگًا ان لا غرفة له بهذا المنزل بعد فعائلته انتقلت اليه بعد عامين من سجنه..

لكن حيرته لم تَظَلْ وهو يرى الليث يجلس على درجاتِ الدور العلوي..

يبتسم له ما ان راه وهو يقف مُحركًا عُنقه بتملل بعد طول انتظار: واخيبيبيرًا الشيبان اعتقوك لوجه الله يا رجال والله لوم اخبرك قلت الذيب لقي دفي حزن امه ونام مير راهنت على خرجت متسحب من غرفتهم قبيل الفجر..

تعال نتمشى بالحوش شوي اذا مابك نوم .. فيه امور لازم نتفاهم عليها من هالحين هذا غير ان شوقي لك واصل حده..

لكنه نفى برأسه معترضًا وهو يهتف له بضيق : غرفتك وبين ؟ ردد خلفه متسائلًا : وغرفتي وش تبي بها ؟ ماتغلى عليك يا عمي كلي ومالي فداك .. بس ان كان بعد ما دريت ف هالدرج اللي وراي يُودي على قسمك بانيه جدي لك ومقفله وعمتي هيفا قبل تسري بيتها نظفته وبخرته وهو جاهز لك توي نازل منه...

تجاهل بقية حديثه وهو يمشي بخطواته العجولة للاعلى ليتبعه
الليث باصرار وهو يراه يفتح الباب باندفاع رامياً جسده على
سريره وانفاسه تتلاحق بشيء من غضب يدركه ؛ يغطي عينيه
بذراعه عن الليث الذي وقف بجواره ينظر الى حاله بريبه:
الذيب ؟ وش صار وعافسك كذا .. جدي قال لك شي ..
ما اظن .. ولا جدتي .. ما راح يغثونك هالليلة بشي انا متأكد ..
انت فيك شي ؟ بخاطرك شي علينا .. صار شي ضايقتك ولا عشان
العزيمة ؟

وان كان قد توقع جواباً منه .. فلم يجد .. الا انه باغته بسؤال
مفاجيء:

بنات محمد وامهن وش وضعهن ؟ لهن شهر ما جبت لي طاريهن

..

ليجلس ذاك على طرف السرير رافعاً حاجبه الايسر : يعني الحين
هذا همك ؟ بنات محمد وامهن طبيبات م عليهن قاصر .. والامور
اللي تخصصهن مثل ماتبي ماشية والحمدلله
مير عنده بنت عوباللااااا كل ماجيت اجيب لهن الاغراض رمتها
بوجهي .. اظنها الصغيرة اصغر بنات محمد ..

ليقاطعها مبعداً ذراعه عن وجهه وهو يستجلس في مكانه : وانا وش
قائل لك وش معلمك .. ما قلت لك تواصل مع امهن قبل تروح لهن
؟ تطفى على البنات بلحالهن ليش ..

لينفي تهمة معترضاً : ياابن الحلال متواصل مع امهن بس هي
عوباللاااا قدام امها ترميهن وتطردني وانها ماهي بحاجة صدقة لين
ماصرت اتحاشى اجيهن وهي فيه واتفق مع امها على وقت ما
تكون هالبنية بجامعة

ثم ضحك بشيء من الوقاحة وهو يرُدِف : بعدين والله ياعم .. لولا
اني عاقد على بنت اخوك وعارف ان جداني بيقتبونني لو فكرت

اجيب على راسها مرة .. كان ما وفرت بنت محمد.....
ليقطع حديثه هاربًا من المكان وهو يرى تحول ملامحه للشراسه ..
يعلم يقينًا ان محمد وعائلة محمد خط احمر في حياة عمه .. وهو قد
تمادى .. وان كان تمديه لإجل اخراج عمه من الحالة الغربية التي
تعتريه ليس الا...

ليقف عند الباب قبل خروجه مشيرًا الى شيء ما على الطاولة
المجاورة للسريير : يا ابو محمد .. شوف هالمحفظة فيها كل ما تقدر
تمشي فيه امورك هالحين .. و مفتاح السيارة جنبك وان شاء الله
عادك ما نسيت السواقة وان بغيت شوري فالسواقين تحت امرك ..
ليخرج مغلقًا الباب من خلفه .. بينما وقف الذيب متخلصًا من ثيابه
وهو يدلف الى الحمام عاقدًا عزمه على اول مكان سيذهب اليه بعد
انتهاء استحمامه...

.

احبك كثر ماتضايق من الغيرة عليك
وكثر ما اخبي غيرتي وبيان زعلي.

في ذات المنزل..

بين جدران احدى الغرف الباردة تنام هي على سريرها غارقة
بتفاصيل هذه الليلة المفاجئة..

وشيء من الاطمئنان تسلل لقلبها ان ليثها لم يغدر بها بزواجه من
اخرى غيرها ؛ ابتسمت على ذكرى المشهد المُبكي الذي كان على
مرأى العائلة اجمع و عمها الذيب و جدتها قد تولى لقائهما انهما
دموع جميع من حضر..

حتى حينما قدمت للسلام عليه كان سلامًا سريعًا مغطى بالدمع
ولربما لم يعرفها الذيب تحديدًا من تكون ف سنوات غيابه كفيلة
بنسيانه .. لكن عودته هي ما تجبر كسر قلبها أخيرًا ..
ليس من اجل الذيب فقط .. بل من اجل حبيبها الذي كرس نفسه
وحياته في سبيل براءته .. وها هو الآن يحصد ثمار جهده بخروج
عمه ..

امسكت هاتفها بتذكر .. وهي تفتح تطبيق السناب التي انشاته
خصيصاً لمتابعته وحده وهي تدرك تمامًا انه قد وثق تفاصيل اليوم
كلها في حسابه ..

للتابعها كلها بتدقيق ونبضات قلبها تتسارع وهي تدرك جمال
ابتسامته ومدى فرحته وانشراحه هذا اليوم على نقيض رسميته ..
لكنه قد تحرر من رداء المحامي المتعقل امام متابعيه اليوم وهو
يشاركهم تفاصيل اهم حدث في حياته كما ذكر ..
لنتتهي من مشاهدة جميع ما وثقه وقد انهاها ب صورة شكر جميع
ضيوفه الحاضرين ..

لتغلق السناب .. وتتجه فورًا للتويتر .. وهي مدركة تمامًا ما ستراه
الليث بن عساف الاسم الرائج و " #حفلة_الليث " هو الاكثر
تداولاً ...

تضم شفيتها بضيق .. وهي تفتح الهاشتاق تتأمل مشاركات الناس
وتساؤلهم عن الاحتفال وعن هوية الذيب واين كان .. ليتطوع
البعض بسرد القصة كاملة والبعض الاخر يُلفق احاديث كاذبة .. و
الاغلبية العظمى كانت لتغريدة فتاة حصلت على الاكثر اللايكات و
الريتويت " بنات ؛ ابتسامه الليث طلعت تجنن ! .. ذابحني حبه وهو
مكشّر ويهاوش فينا بسناباته بعد كثرة قضايا الخلع عنده ..
ياويليبيي يا حلوه وهو رايبق زوجووناااا " ..

فتحت الردود .. لتجد ان الاغلبية تولوا اخبارها بامر ارتباطه وانهم
بالفعل قد " عقد قرانه " على ابنة عمه منذ العام والنصف ..

ارتاحت قليلاً تحادث نفسها : يا حليلهم باقي ناس فيها خير
ماقصروا علموها .. ومطلعين تاريخ عقدنا بعد هذا وهو م تكفل
حتى يصور يوم العقد بسنابه بس فالح يعرض قضايا الخلق ويحلها
ويهاوش بالحريم" ..

رمت هاتفها جانباً .. وهي تنظر للسقف تناجيه : وانا طيب ي
الليث من يحل لي قضيتي معك يوم انك انت الجلاد وانت القاضي

..

ليأخذها النعاس أمناً من طول التفكير .. و ارهاقه ..

.

انهى استحمامه وارتدى احدى الثياب السوداء التي وجدها في
خزائنه .. ثم اتجه الى الطاولة حاملاً المحفظة و المفاتيح ..
يتحرك بهدوء يعاكس داخله خارجاً من المكان لينتبه لمصعد
موجود امامه فينزل من خلاله تفادياً لرؤية احد من اهله .. لكن ما
ان وطت قداماه الحديقة حتى شعر بمن خلفه .. ليلتفت بعينيه مرتباً
وهو يرى الليث قادم من طرف المكان بين شفثيه " سيجارة " وبيده
كوب شاي .. يتجاهله مكملاً طريقه .. حتى قاطعه ذاك بفضاضة:
لحظة لحظة على ويبيين .. عمي الذيب تكفى ترى لو جدي ولا
جدتي قاموا مالفوا لك اثر هالليلة بفراشك عز الله راحوا فيها
بيقولون شوفته كانت حلم .. و جدي ان درى اني معطيك السيارة
بيذكي بي تكفى يا رجال وراي مره ما بعد تمت زواجي عليها ..
طيب انت علمني بس انت وين رايح .. قول بس تبيني امشي معك
... يارجال رد علي بس .. يارجال.....

قاطع الحاحه بصوته وهو يفتح باب السيارة
الذيب:

قل لأبوي اني رايح الحرم أصلي الفجر هناك ولا يتباطاني يوارسل
لي رقم مرة محمد الحين على الجوال بامشي لهم بعد الصلاة..

يرى اتساع عيناه واعتراضه : ياالذيب تكفى اهجد بالله تبي تطبح
على المرة وبناتها من فجر الله ليش ؟ اجلس وتعوذ بالله من ابليس
بتمسك خط بدر وانت متى لك ما سقت خطوط استهدي بالله العصر
انا وانت نروح لهم..

تجاهله متحرگًا بسيارته مُبتعدًا ؛ بينما الليث رمى بسيجارته ارضًا
وهو يُطفأها بحذاءه .. يشرب ماتبقى من الشاي دفعة واحدة:
يعني ما عندك صبر تقابل اهلك اكثر .. طائر طائر ما همك الا
محمد و بناته...

لكنة ارسل الرقم برسالة نصية لهاتف عمه مُستسلمًا..
ولم يفت عليه ان عمه وعلاقته بالهواتف الذكية قد توقفت عند حقة
زمنية معينة لذلك قد اختار له هاتفًا بسيطًا يتناسب مع وضعه
الحالي حتى يتولى امر تعليمه على كل ما هو جديد

التفت عائداً للمنزل وعينيه الخائنة ترتفع لمراقبة نافذة تخصصه
يراقبها كُل مساء متممًا براحة ووعيد:
واخيبيبيراً بالجفول تفضينا لك .. اخيراً اااا .. بعون الله شهر وانتي
بين يديني نعوض حرمان هالسنين اللي اجاهد نفسي عنك جهاد..

استيقظ من نومه بعد ان جافى عيناه نوم الليل لسنين

ليحمد الله ما ان فتح عيناه على صوت الاذان القريب من بيته..
التفت لسبب راحة البال الذي انامت عينه .. لكنه لم يحد سوى
زوجته تنام على الاريقة وهو قد رحل..
فكر انه ربما استيقظ قبله منذ قليل و ذهب لجناحه .. لذا تحرك من
فراشه للوضوء ثم الذهاب لايقاظ ابنه واخذه معه الى المسجد..
لكنه .. ما ان خرج من الغرفة .. حتى وجد الليث يقف امامه
مُنْتَظراً وقد ارتدى ثوبه فقط دون شماغه وبين شفثيه مسواك
يُتسوك به وعيناه في عيني جده الذي سأل بريبة:
وش علمك حارس بابي ؟ عمك طيب..
ليجيبه بهدوء:

ايه طيب الحمد لله موصيني اقول لك انه رايح يصلي بالحرم نفسه
مشتاقه وما قدر يصحيك من نومك فقال لي اعلمك لا تشيل همه..
اسفرت ملامحه الملهوفة عن ضيقه .. لكنه تجاهل التعليق على
الامر وهو يمشي بجواره مستنداً على العكاز : اسمعني يا ولد ابيك
تحجز لي اليوم على جدة انا وجدتك وعمك الذيب .. رتب
الموضوع انت طيران وفندق قريب من الحرم ودي عمك يروح
عن نفسه ويستكين وهو حول بيت الله..
لم ينطق سوى بـ : تم يا جدي ابشر على هالخشم..
ثم خرجاً سوياً الى الصلاة .. حتى انقضت .. وعادا و برفقتهم
والده عساف و اعمامه الثلاث وبعض من ابناءهم

يتأمل جده وهو يبلغهم بأمر سفرهم الى مكة .. بعد ان اخبره والده
" عساف" ان احد رجال القبيلة يدعوهم اليوم لعزيمة العشاء
المقامة لعودة الذيب: ..

انا رايح مكة وامكم معي والذيب وما ندري كم يوم نقعد فيها ومن
الحين اقولكم قفلوا باب العزايم لا تفتحونها لان لا قبلنا عزومة
واحد بنضطر نقبل عزومة عشرين واخوكم ماله بهالعزايم حاجة

ولا احد يطريها له...

اقتنع بحديث جده ورأيه .. على الرغم من وجوم والده .. الذي
اسرع بخطواته يلحقه البقية بينما بقي هو و " محمد" الذي يسند
جده بذراعه وهو يعود معه كما هي العادة .. يقترب منهم .. هاتفاً :
يا جدي .. ابيك بشيء..

ليقف الاثنان ثم ينوي محمد الابتعاد حتى ناداه : محمد لحظة ..
اسمع اللي بقول..

علم حينها " محمد " .. ان الأمر يخص اخته الجفول .. ثم نظر اليه
بترقب وهو الذي قد ضاق من هذا الامر .. يسمع صوته الواثق
المُطالب بما هو حق له:

يا جدي انت عارف و محمد عارف .. ان ما اشغلي عن اني اتم
عرسي بالجفول الا قضية عمي وانا كل رغبتني ان عمي الذيب هو
اول الحضور والمستقبلين بعروسي ودامه الحمد لله رجع وبسلامة ..
فأنا اقول بأحدد العرس بعد شهر .. وانت يا محمد شاورها ورد
علي ان كان يناسبها الموعد ولا نقدمه اكثر!

رفع محمد حاجبه بضيق وهو يرى تلاعب الليث بكلماته .. اي انه
اخبرها ان لا مجال لتأجيل الزفاف عن شهر .. لكنه اجابه بفتور قد
اعتاده منه : بقول لها .. وهي حرة متى ما تبي تحط عرسها
صبرت عنها سنة ونص ما انت عاجز تصبر عليها كم شهر لو
ماناسبها..

كان يهم برد لاذع عليه الا ان جده قاطعه قائلاً : ايه وانا ابوك خله
بعد شهر لا تقديم ولا تأجيل عرسك وعرس عمك الذيب ان قاله الله
كلها بنفس الليلة..

ليطير الرد من عقل الليث .. وهو يلتفت بصدمة نحوه جده

معترضًا بحده : جدي تكفى لا .. لا تضغط عليه عمي نفسيته
مدمرة كن كل النواحي اي عرس تبيه يعرسه وهو مشتت وضايع !
اصبر عليه كم شهر يرتب اوضاعه و يستقر ثم شاور عليه على
كيفك لكن لا تستغل انه مراح يرفض لك طلب وتضغط عليه
يعرس مو بحاجة عرس الحين هو بحاجة فترة نقاهه يرتب فيها
نفسه تكفى يا جد.....

الا ان عصاة جده التي حطت على ساقه بكل قوته وهو ينفث فيه
غضبه الحارق : انا اعقب ياورع انا استغل رضى وليدي .. هذي
اخرتها .. قم انقلع عن وجهي لا بارك الله فيك انقلع سود الله وجهك
انت وحكيك هذا بدل لا تقول ايه والله عمي راح من عمره مراح
خله يعرس ويجيب له مره تعوضه عن شبابه و عيال تحوفه قبل لا
يمضي العمر فيه اكثر .. دام هذا كلامك عز الله ما منك رضى
انقلع عن وجهي هالساعة .. انقلع..

ثم اندفع بخطواته غضبانًا الى منزله يسايره بالخطوات محمد الذي
رماه بنظرة غاضبه قبل رحيله هو الاخر..

في الحرم..

وصل قبيل الفجر بقليل .. ليصلي الوتر .. ثم يقرأ ماتيسر له من
القرآن حتى اقامة الصلاة .. والتي ما ان انهاها حتى بث شكره لله
بدعوات وثناء صادق ثم استقام من جديد مُصليًا الاستخارة على
ما هو مقدم عليه..

تحرك خارجًا من الحرم ولسانه يلهج بذكر الله .. متعمدًا ان يلف
شماغه حول وجهه حتى لا تدركه اعين من قد يعرفه هنا ف اخر
ما يتمناه الآن ان يصادف احد من معارفه هنا تمشى في ساحات

الحرم النبوي الشريف بشوق وانفاسه المُستضيقة اخيراً وجدت
سكينتها.. ليخرج هاتفه بعد خروجه وصعوده الى سيارته .. مُتصلاً
بمن اهمه امرها هي وبناتها..

.

.

.

اتصدد عن غرامك وانا كلي أبيك
التناقض في دروب المحبّه مشكله!

منذ الأمس..

وبعد مُصادفة دخولها للتويتر لم تستغرب ابداً وجود اسم الليث هو
الرائج .. فعادة ما تولى ذلك بعد كل ظهور له حيث انه يغيب
بالاسابيع ليعود مرة ثم يغيب مثلها..
لكن ما شد انتباهها اكثر هو ذكر حفلة الليث بالهاشاق لِتدخله
راغبة في معرفة تفاصيله بفضول ليس الا..
لكنها ما ان وقعت عينها على سبب الاحتفال .. وعلى احدى
الصور التي لمحت به حتى ارتجفت يداها .. وهي تقفز مسرعة
نحو باب الغرفة .. تُغلقه بالمفتاح خشية دخول اختها اليها..
تعود الى سريرها بقلب نبضه وجَل .. وهي تفتح سناب الليث هذه
المرّة تتابع فرحته وابتهاجه .. وتوثيقه لفرحة خروج " الذيب " من
سجنه .. بعد كل هذا الوقت..

تأملت السيارة التي وقفت وخرج منها بثقة ونظراته الشبيهة
بنظرات الذئب تدور حول المكان بشيء من حنين..
رفعت كفها المُرْتَجَف على صدرها .. انه حُب الطفولة..
بطلها الاول .. على الرغم من الفارق المهول بينهما الا انه يكفيها
ان رائحة والدها به عالقة..

لقد حملها على كتفه لمراتٍ لا تعد ولا تحصى .. وكم ابتاع لها من
الحلوى و الهدايا مالا حصر له .. لقد دللها حتى افسدها دلالة حتى
على ابيها .. فكيف لها ان تنساه وكيف لها ان تصدق ان صاحب
القلب الابيض وكل تلك الحنية يمكن ان يؤذي احد ؟ او ان يغدر
بصديق عمره .. ليش هذا بحسب بل كيف له ان يفعل هذا في يوم
زفافه الذي انتظره لاعوام وهي التي كانت تسترق السمع على
احاديثه مع والدها وقد ادركت مدى هيامه بتلك .. فكيف له ان
يُضحى بها وبحبه وبصديق عمره...

بعض الامور لا يدركها العقل .. ولا القلب ايضا..
والأهم .. ان اعجاب الطفولة ذاك .. قد تنامي بداخلها الى شيء
اخر بعد موت ابيها وسجنه هو .. وكل ما اصابه الا ان لم يتوانى
عن رعايتهن ابداً..

بقيت على حالها حتى الفجر وهي تراقب الهاشفاق تترقب اي جديد
عنه .. حتى انه مع ارهاقها والسهر رفضت الذهاب الى الجامعة
بينهما المُهرة التي تعاملها بصمت تام وجفاء منذ شجار والدتها ليلاً
.. لم تكثرث بها او بسؤالها عن سبب الغياب وقد غادرت الى
الجامعة منذ نصف الساعة..

بالكاد اغمضت عينيها حتى فُتِح الباب تدخل والدتها منه وهي
تحمل البهجة على ملامحها مُبشرة : الزين يا بنت قومي .. عمك
الذيب الحمدلله خرج من السجن تخيلي صحيت على جوالي يدق
قبل شوي الا هو والله هو يقول استاذنك يام الزين جايك اسلم عليك

بنفسي و ابيك بموضوع و ابي اخوك سالم يكون موجود .. عاد
كلمت سالم يقول طيب ما عنده مشكلة .. يا الله لك الحمد ذكريني اخذ
رقم امه منه اتصل ابارك لها برجعته هو و اهله خير ناس عرفهم
ابوك و خير صحبه .. اشهد انهم خير صحبه اللي ما نسانا ولا نسي
وصلنا حتى و هو ماله يوم خارج .. الله يرحمك يا محمد عرفت
تختار من تأمنا عنده الله يرحمك..

كانت تتأمل حديث والدتها المُنذفِع وهي تتابعها بعدم تصديق ؟ هل
قالت انه سيأتيهم .. واليوم..

اي دعوة قد دعته منذ الامس وقد استجابها الله لها هكذا سريعًا ..
لقد دعت ان يجمعها الله به .. فهل لمجيئه صلة بدعائها .. ام هل
مجيئه كما هو المتوقع لأجل الاطمئنان على امنته كما قالت
والدتها!

لا يهم .. المهم ان يأتي .. ان يكون هنا .. ان تراه وان يهدأ نبض
هذا القلب المفضوح..

اشاحت وجهها عن والدتها حتى لا تكتشف وقع ما اخبرتها به
عليها .. تتحرك من السرير بعجل وهي تخبرها:
الحمد لله على سلامته يا امي .. الحمد لله غلاته من غلا ابوي والله ..
باقوم اجهز فطور يمكن ما افطر ؟
لتأييدها والدتها بما اقترحت تتبعها الى المطبخ وتبدأ بعجن الفطير
وخبزه...

.

وصل الى بدر بعد ساعة و نصف تقريبًا وهو يعرف الطريق الى
منزل اهل صديقه جيدًا..

الى الآن كل ما يشعر به هو " اللا شعور " حرفياً .. وجميع ما يفعله من اجل ثقل الأمانة التي جعلها محمد في عنقه .. توقف امام بوابة منزلهم .. لينزل من سيارته مرتباً هندامه ثم يتحرك بهدوء طارقاً الباب .. ثوانٍ عدة .. حتى فتح الباب و " خال بنات محمد " يرحب به و يدعوهُ للداخل ..

ليُفعل .. يتحاشى النظر في المكان .. متعمداً ان تكون نظراته في الارض فقط .. فالذكريات ارفعته منذ دخوله بدر و ذكرى السفر والتنقل الشبه يومي مع محمد قد عاثت ب ذاكرته و اوجعته .. لذلك قبل بما وضعه امامه من طعام .. وهو يمد يده يتناول " لُقمة " واحدة لم يثنيها ف معدته لا تتحمل هذا النوع من الطعام الثقيل .. فقط اكتفى بكوب شاي .. بعدها ..

ثم رمى بسلامه و اعتذراه لـ زوجة محمد التي قابلته بشكر وفرحة لخروجه اثارته دهشة اخيها!

اليس من المفترض ان يكون هذا المُجرم هو سبب ترملها ويتم بناتها ..

اليس هذا هو سبب وفاة محمد .. ؟ ما بالها اذا تكاد تطير فرحاً بعودته ..

لكنه لم يهتم بذكر افكاره امامها .. وهو يراقب الحديث الذي يدور حوله .. ف الذيب قد اطمئن عن احوالهم ثم استمر بصمته .. و اخته تتولى سؤاله ليُجيب هو ب كلمة او اثنتين منها الحديث ..

لم تغفل هي عن الارهاق الذي بدا عليه حال الذيب .. و تشعر ان لزيارته مآرب اخرى غير اطمئنانه .. ليرمي ب هدفه من المجيء قائلاً بكل صراحة:

شوفي يا زوجة الغالي .. انتي ادري الناس بي ولا قلت انت ادري فانت فاهمتني .. وانا رجال خارج من السجن كاره الدنيا باللي فيها ويشهد الله انه ما عاد يهمني منها شي الا رضى امي وابوي وانك تكونين انتي و بناتك بخير و مرتاحات .. لكن .. اللي باقوله .. اني

رجال ناوي اتزوج وانا شفت انه الاولى اطلب الزواج و القرب
منكم .. لانكم بأمانتي انا .. وان صار ورفضت البنت هالزواج
فالحق معها وما راح يتغير شي .. انا مقدر لاشياء كثيررررر لو
رفضت و عارف انه لها كل الحق بالرفض ولا تجبرين البنت على
شي ان وافقت وتمت عرسي عليها نقلتكم عندي كلكم .. وان ما
وافقت فالحال بيستمر على ما هو عليه وانا باذن الله ماني بقاطعكم
و باواصلكم كل ما قدرت ..
والحين كل اللي ابيه منك .. تشاورين بنتك .. وتردين لي الخبر
منها..

ليرمي حينها سالم بكلمته وهو المُندهش من طلب الذيب : ومن هي
البنت اللي تبيها بالذيب محمد عنده بنتين مو بنت وحدة...

ليرفع عينيه حينها من الأرض .. ناظرًا باتجاهه وهو يرمي بكلمته:

انا جاي أخطب الزين...

.

ما يجيبك طيب حظ ولا تجيبك طيب سمعة

انت نعمة ما تجيبك غير دعوة مستجابة 

م ان انتهت اعداد الافطار حتى تعذرت بنومها .. لتتجه الى غرفتها
المُطلة على الشارع .. تراقب وتنتظر..

حتى رأت سيارة تقترب من منزلهم شيئاً ف شيء .. الى ان توقفت
.. وكادت ان تتوقف معها نبضاتها .. تراه يترجل من سيارته..
بجسدٍ قد نحل عن سابق عهدا به .. وعينيها تُحط على كتفيه
اللاتي حملناها قبل اعوام .. لترى انها لاتزال كما هي قويتين
مشدودتين .. على الرغم من افتقاده لوزنه .. رفعت كفيها تحتضنها
الى صدرها .. عله يهدأ وهي تدعو:

يارب انه يكون من نصيبي ياااااارب .. والله قلبي بيوقف مو
معقول كل هذا عشان شفته بس .. يا الله .. ماني مصدقة..
رفعت كفها تتحسس وجهها المتوتر .. لتدرك انه قد تبلل بدموع لا
يمكن ان تُصنفها .. هل دموع فرح لرؤيته ام دموع الانفعال
العاطفي الذي تمر به..

تاملت خطواته الواثقة وهي تتقدم الى باب المنزل يطرقه حتى دلف
اليه برفقة خالها .. وحين تاكدت من دخول والدتها الى المجلس
ايضاً تسالت من غرفتها..

وعادت الى عادة التجسس التي انقطعت منذ انقطاعه عنهم..
تقترب من نافذة المجلس .. الخارجية لترخي سمعها لأحاديثهم
وصوته الرخيم الهادىء يجيب على والدتها باختصارات حتى اتى
موضوع الزواج الذي كاد ان يُحطم قلبها .. وكادت تنهار الى ان
نبضاتها المُنهارة عادت للتراقص شيئاً ف شيئاً .. حين ذكر " الزين
" في حديثه..

لترمي بجسدها المُنتفض ارضاً من فرط انفعالها .. و الفرحة تكاد
تؤدي بها .. لتتحرك ببط وهدوء عائدة الى غرفتها .. تغلق الباب
من خلفها بالمفتاح ثم ترمي بجسدها على سريرها تكتم صوت

صراخ الفرخ في المكان قسرًا .. تهمس لنفسها دون تصديق:
خطبني والله خطبني اخيبيبييرًا الذيب خطبني .. ي الله .. قلبي
.. اخيرًا باكون للذيب آخيبيبييرًا.....

مسحت دموع عينيها .. فجأة .. وهي ترمي بجسدها تحت اللحاف
تغطي جسدها به ترجو النوم ان يُعانقها سريعًا خشية من ان تأتي
والدتها لتخبرها بالأمر وهي تحت تأثير وقع الأمر على قلبها .. لم
تستطع كبت ابتساماتها اكثرر .. وهو تهمس لنفسها : نااااامي ..
اول م اصحى امي بتقول لي الذيب خطبك وتشاورني فيبيه ..
نااامي .. خلاص م يحتاج تشوفينه باحلامك بعد اليوم خلاص
بيصير هو واقعك وحياتك اللي بتعيشينها لين مووتك نامي....

.

.

.

خرج من بدرَ بعد ان آتم ماقدم لأجله .. و راحة تتسلل له من ما
اقدم عليه .. هكذا لن يظلم احداً..
لن يظلم امانة محمد له .. ولن يظلم اخرى بارتباطه بها وهو
مسؤول عن عائلة اخرى في عُنقه..
رنَ هاتفه برقم .. ادرك انه رقم والده ويبدو ان الليث قد سجل
اسماءهم به .. ليرفعه مجيباً:
هلا يبه .. جاي البيت الحين .. عطني نص ساعة وانا باذن الله
عندك لا ماني بالحرم فيه مشيوير صغير كان لازم علي
اقضيه ابشر ابشر نص ساعة وانا عندك ياالله بحفظ الله

...

اغلق منه .. رامياً الهاتف بجواره .. مقررًا انه لن يخبر احدا الآن
بأمر خطبته الى حينما يفتحه والده بالأمر..
سرح قليلاً مفكرًا في حياته .. ومن اي نقطة يبدأ بترميمها تحديداً
.. ارهقه التفكير ولم يدق للنوم طعم منذ الامس والآن كل ما يرغبه
هو العودة لـ حضن فراشه الدافئ الذي لم ينعم به .. ورغبة ملحة
داخلة ان يغمض عينيه هذه الليلة براحة دون اكرثات بشيء حتى
لو احترق العالم بأكمله...

تجملي في نحيل ضاق به ثوبه
قبل الشوارع تذوب بـ ظل زايرها
الفصل الثالث

.

الصدمة اللي تجي من جيز خلق الله..
تصدم جدار الثقة وتموت طوالي
غير البلا جات من خل على خله..
اليا تذكرتها ويلي على حالي

ينتابني شيء مايعلم به إلا الله..
يجعلني اصد وجهي واجلس لحالي

من ضيقة الصدر اخاف تخونني زلّة..
وتجرح لها واحدٍ في خاطري غالي

عرش الهواء اللي تولّى فيه واحتله..
لاطاح منه وش عاد يبقى لي
بتعم في صدري الفوضى وتحتله..
وأعيش في حزني وفي خيبة آمالي

·
·
·

العاشرة صباحاً..

وقد وصل أخيراً للمنزل مترجلاً من سيارته .. راميت شماغه على
كتفه يمشي بانهاك واجواء المدينة الحارة نهاراً كصهريج من نار
يصب على رأسه يُتلف أعصابه المنهارة أكثر...
فتح الباب مستغفراً متعوذاً من حرارة جهنم..
ليرى أن والده بانتظاره خلفه ؛ ولم يكن وحده بل تشاركه المكان
ثلاثة وجوه فضولية تنظر اليه بتفحص وقد هدأت اصواتهم منذ
دخوله..

اقترب من والده مقبلاً رأسه و يده .. ثم التفت عن يمينه وهو يرى
ثلاثتهن يتقدمن للسلام عليه..

ابتسم ما ان ادرك هوية اولى من بادرته السلام وتلك الشامة أسفل
عنقها مايميزها منذ الصغر ؛ يهتف باسمها حاملاً حنينه ب نبرته:

الجفول ؟

طفرت دمة من عيناها وهي ترتفع على اطراف اصابعها مقبلة
رأسه .. تهز رأسها مؤكدة : ايه الجفول يا عمي الجفول ..
لينطق لسانها دون ادراك : ماتوقعتك تعرفني....

احاط كتفيها بذراعه مُقبلاً جبينها بخفة : افااا كيف ما اعرفك وانا
عمك .. بنت عبدالله و اخت محمد و زوجة الليث و انساك .. وقبل
ذا كله كونك الجفول اللي ما احد ينساها..

لتبتعد عنه بشيء من خجل قدره هو .. ينظر للاثنتين المُحبطتين
من خلفها .. ف الجفول المدللة بالتأكيد ستكون ذكرى خالدة في
ذهن كل من يعرفها .. ليشير لـ القصيرة الناعمة الرقيقة من خلفها:
وانتِ غلا .. لا تحسبيني ناسيك انتي بعد اعرفك والله لو بين مليون
بنية يا بنت عساف .. تعالي سلمى..

ليشد ذراعها بخفة اليه .. يُقبل جبينها كما فعل مع سابقتها .. يرى
ارتجافها المتوتر الخجول بين يديه .. وهو يحطّها مُقرباً اياها منه
وهو ينظر لثالثتهن الناظرة اليه بشيء من تحدي : امممممم وجهك
مو غريب .. انتي اكيد من بنات عفرا ؛ ولا يمكن بنت هيفا العنود
.. ذكريني من انتي ؟

ابتسامة متسلية ارتسمت على شفثيه حينما رأى اشتعال النار في
عينيها الغاضب وهي تهتف بصدمة : عممممممي!!!!
ليضحك .. ماداً ذراعه لها : تعاااالي والله ماتغيريتي من يومك
دمك حامي ادناة الدون تترزفك وتعصبين .. كيف انسى الغرنوق "
طويلة العنق " شيخة البنات كلهم بنة ؟

افااا انتم الظاهر تحسبونني فاقد الذاكرة ماني بمسجون ..
تبخر غضبها ما ان حطت قُبلته على جبينها لترمي بقبلاتها على

رأسه هي الأخرى بحماس:
والله يا عمي كنت رااااح احقد عليك لو ما تذكرتني اجل تتذكر
الجفول وغلا وتنساني انا ؟

ليقاطعها صوت جدتها القادم من خلفها هادماً لحظتها : هو وشلون
ينساتسن وانتن من يومتسن وغدات " صغيرات " حزب مع
بعضتسن بالمصايب والخراب دامه باخص الجفول واخيتس اكيد
انه عارف انتس ثالثتهن ماهو بجاهلتس وانا جدتس..

كورت شفتيها بامتعاض صامته متأمة جدتها و اللحاف الذي تغطي
به جسدها .. تدفع له صينية الافطار التي تحملها ..
مُدركة تماما انه لا جدال رابح مع جدتها مهما حاولت .. والاخرى
ايضاً لم تمنحها ذلك الشرف وهي تدفعهن عن مُدللها بعد ان ناولتها
الصينية:

ياسعد عيني وانا امك والله اني من وعيت من نومي ولحافك
مغطيني اخمخم فيه فرحانة واقوم ابي اوحى صوتك الفجر
لكن ابو عبدالله قال لي انك رايح الحرم تصلي به .. لييتني دريت
وانا امك كان رحته معك ..
اشار الى خشمه بهدوء : على هالخشم يُمه ماطلبتني شيء نروح
نصلي الظهر فيه ..

علا صوت والده المُراقب ملامح ابنه منذ مجيئه : ولا لك لوا يا بو
محمد.؛ بتفطر معنا ثم تنام وتريح ماني بجاهل ان النعاس بعيونك
وانا ابوك .. ملحوق على كل شيء ملحوق وان قاله الله الليلة
ماشين مكة جميع ولا رجعنا ود امك الحرم وقباء واللي تبينه ..
لتضرب صدرها هي متأمة احمرار عينيها وارهاقه:
والله انك ابوك ماكذب تعال افطر ثم رح نم وريح ولا صحيت عينا
من الله خير وانا امك ..

نظر الى صينية الطعام الدسم الذي اعدته .. ومعدته تصرخ المأ لا
يمكنه احراقها بالمزيد من الدهون .. لذلك اقترب .. متناولاً ملعقة
واحدة .. متلاعباً بالطبق..

يدرك انه تحت مراقبتهم جميعاً لاكله وما يتناوله .. ليزرفر
باستسلام معترف:

والله يايمه مالي نفس بالعيشة الحمدلله الفجر اخذت قلابة وتميس
وشبعتني..

لنُقَاطِعُه باعتراض : ياوليدي تكفى كل والله يا ان جسمك متصلق
" ملتصق " ببعضه مابقى منك شيء .. كل وانا امك خل عافيتك
ترد..

لكنه لم يستطع ان يجامل على حساب صحته اكثر .. وهو يُمسك
بكوب الشاي متناولاً:

يكفيني كاسة شاهي الحين ولا صحيت اكلت باذن الله..
لينهيها .. ثم يعتذر منهم قاصداً غرفته .. يدرك لهفتهم على
مُجالسته لكن كل ما بجسده يصرخ طالباً رحمة بنفسه.....

.

.

غَضَبَ عَارِمَ استعر به منذ مَوْقف الليث الحقير به!
كيف تناول الطعام بكل هذه البساطة ولبي دعوته .. يُدرك ان حقد
الليث الدفين لن يُمحي بسهولة ولو كان بصفه الجميع مُصدقين
واولهم أهله..

الا ان الليث مدرك حقيقة امره .. وهو الذي سعى لأعوام وراءه
ولم يتوانى في ضربه من كل مكان استطاع ان يطاله
بل انه السبب الأول له حتى يمتهن المحاماة..
لقد ادرك مؤخرًا ان الليث يطبخ انتقامه على نار هادئة..
لم ينضج بعد..

وتلك الضربة التي تلقاها بالأمس منه هي بداية الانتقام .. القادم ..
خروج الذيب..

نظر لارتجافة يده بفرع .. خوفًا من القادم .. سيهلك حتمًا لو
انكشف غطاء الماضي .. سيخسر كل شيء .. واولها عائلته
سمع الباب الذي فُتح من خلفه .. ليصرخ دون التفاته مدرّكًا
هويتها:

انقلعي من وجهي هالساعة مالي خلق اشوفك .. انقلعي وصكي
الباب وراك الله ياخذك وياخذني يوم طاوحت لك شور
لكنها تجاهلت أمره وهي تعقب:

اخزي ابليس يارجال وش فيك ؟ من بعد عزومة بناخي الذيب
وانت منجن علينا حتى عيالك افرقوا على حالك يقولون ياعمة ابونا
غدى مثل الديك المنتف يوم شاف الرجال اللي نزل من السيارة
عيب عليك حتى البزارين نقدوا عليك ؛ مرتك لا تشوف حالتك ذي
وتنقد عليك هي بعد..

التفت اليها .. مُندفعاً بغضبه شادًا على خصلات شعرها بقوته :
شيمه قلت لك انقلعي عني ماودي اشوفك لاتخليني اذبحك انقلعي..
يدفعها بقوته عنه .. لتضحك بشماتة على حاله وقد نفثت سُمها
عليه:

ايبيبيه يا ابو تركي حرتك حطها فيني انا ولا لمقابل الرجال م انت
قادر له..

لتغلق الباب خلفها .. وهي تسمع دوي انكسار الزجاج من خلفه ..
تبتسم بخبث .. وقد تراءت لها ملامح زوجة الغاضب امامها
متسائلة:

شيئه ما قالك راضي وش فيه ؟ والله من يوم جاء البارح وحاله
منقلب قلب الرجال طول ليله يدور بالغرفة منهبل حتى النوم
مذاقته عينه وحتى النفس مني ماهو طايقه طردني من الغرفة لين
نمت عند عيالي ... وش فيه وش صاير له مشاكل بشغله ولا وش
صاير..

تقترب منها وهي تعبت بهاتفها قليلاً .. : ايبييه ونسيت انتي ما انتي
حول الجوال بعد ماهمك الا تدهرين بمطبخك صبح وليل وما انتي
دارية عن الله وبين حاطك..
شوفي شوفي يا حبيبي قري عينك..

لتنظر هي الى الجوال باستغراب دون فهم وليست مدركة لمن هذه
السيارة ومن ذاك الذي يترجل منها ... حتى تحولت نظراتها من
الاستغراب .. للدهشة .. : الذيب ... خرج!!!
ابعدت هاتفها عنها غير مُكترته بـ الصدمة على ملامحها :
تخيبييلي ! طليقك السابق خرج من سجنه .. ولا لقاك ي طليقته
متزوجه اعز اصحابه ومعيله منه بدل الواحد خمس
كشّت بوجهها باصابعها الخمس تأكيداً لما تقوله .. ثم ابتعدت عنها
عائدة بخطواتها لغرفتها .. ولايزال حُقدُها الدفين على زوجة اخيها
" نوف" يتراقص في داخلها فلا يمكنها ان تنسى ابداً ؛ ان الذيب قد
فضلها عليها واختارها يوماً..

كم واحدٍ من رصاص القوم متنبّه
ولا صابه إلا الرصاص الليّ من حزامه

ديار بدر..

الرابعة عصرًا...

عادت بعد نهارٍ طويلٍ من المحاضرات التي لم تفقه منها شيء ف
لاتزال تحت تأثير موقف الامس الحاد مع والدتها
لقد صفعتها!!!!
لأول مره منذ 20 عامًا .. تفعلها وتصفعها ولأجل من ؟ ولأجل
ماذا..

لأجل الذيب .. المُتسبب الأول في يُتمها..
تكاد تُجن من تصرفات امها وخضوعها لهذا الأمر .. واكثر ما
تكرهه حقيقة ان ذلك الحقير هو العائل الأساسي لهم معتقدًا انه بهذا
سيتحرر من عقدة الذنب التي تلحق به..
لقد قتل والدها .. فجر سيارتهُ به..
كيف لها ان تسمح له بان يكون له فضل عليهم .. بعد هذا .. بل
كيف لها ان تمنحه سبيلًا الى حياتهم..
لو كان الأمر بيدها .. لذهبت اليه في سجنه و اقتصت منه حق
والدها و حق جميع من ماتوا بلا ذنب يذكر!
ان يكون المرء قاتل بلا قصد جريمة قد يسامح عليها .. اما ان
يكون ارهابيًا خطط لجريمته و قتل بدل النفس الواحدة مئات

الانفس دافعًا ماله لمنظماتٍ تدعم هذا القتل.. فهذا مالا غفران فيه

..

ولو اجتمع امامها الانس والجن طلبًا منها ان تغفر له لن تفعل ولن

ترتاح الا ب فصل رأسه عن جسده..

تنتظر يومًا يُعلن فيه اعدامه بعد ان تهدر سنوات عُمره في سجنه

.. وتدعو الله في كل صلاة ان لا تقبل له توبة ولا يُقبل له دعاء

وان يموت موتة سوء وان يصطلي ب عذاب القبر ثم الى الدرك

الأسفل من النار..

فتحت باب غرفتها مُتجاهلة النظر الى الزين .. وهي ترمي

بالحقيبة على سريرها..

ليفاجئها اندفاع اختها نحوها باحتضان حاني:

مُهرّيا شينك و شين زعلك .. والله آسفة ما توقعت يحتد الكلام بينا

لدرجة امي تعصب منك ؛ تعرفين امي زيبين انتي ماتهنين عليها

اصبري بس دقائق الا وهي داخله تراضيك .. يلا عاد تكفييييين

مهوور تكفييين مابي زعلتك تدرين بغلاتك عندي .. كله ولا

تزعلين..

دفعت اختها بلا اهتمام وهي تهتم بنزع ماتر تديه : ممكن تخرجين

عني ؟ ابي ابدل ملابسي ..وانام

لكن تلك اصرت وهي ترمي بقبلاتها على وجهها وكتفيها بدلال :

اوف اوف لهالكتر زعلااااانه مهوور حتى النظرة تبخلين فيها علييي

؟ تكفييييين .. والله اليوم فيني شعور حلو ومو منعصه علي الا

زعلتك ذي .. اوعدك وعد ماعاد اجيبه طاريه هالفتره ابد ..

شرايك ؟ ترضين علييينا..

رفعت حاجبها بتهديد وهي تلتفت نحوها : هالفتره بس ! يعني

عندك نية تطرينه لي بعدين..

لتضحك وقلبها يتراقص بداخلها " آه لو تدرين انه خطبني: "
ايبي عاد بس انتي ارضي عليي تكفيين..
لم تدقق بالأمر كثيرًا .. فدتها و الزين عائلتها الوحيدة ولن
تخسرهما " بسببه " كما خسرت والدها: ..
رضينا عليك والحين ممكن تخرجين تعبانا باغير ملاسي وانام
.. خلصيني..

تحررها اخيراً وهي تتجه للصلاة بحثاً عن والدتها..
التي لم تراها منذ الصباح..
تحاول ضبط انفعالات وجهها و تهدئه نبض قلبها..
دربت نفسها بالداخل منذ استيقاظها على كيفية ردة فعلها عند اخبار
والدتها لها بالأمر...
لذلك دخلت الصلاة وهي تراها تجلس امام التلفاز سارحة بجوارها
صينية تحمل دلال القهوة و الشاي و صحن من التمر لم تمسه قط..
اقتربت منها مُقبلة رأسها بحبور:
حبيبي ام الزين وين سارحه وساحبه علي اليوم كله حتى
ماصحيتيني اتغدى معاك..

أجابتها وهي تعندل في جلستها مقربة دلة القهوة منها:
ايه ماسويت غدا اليوم بعد ما مشى ضيفنا غفيت..
لثُصب لها فنجان من القهوة وهي تمده لها ثم تلحق نفسها بفنجانٍ
آخر..

تسألها بخجل غير ظاهر : امممم وضيفنا وش عنده ؟
تأملتها وهي تجيب بملامح غير مفسرة: ..
ماعنده الا كل خير..
ثم صمتت وهي تُكمل فنجان القهوة ببرود..
تراقص داخلها حماساً " يبييوه يمّه مو وقت هالتفكير تكفين
انطقيها وارحميني .. تكفيين قولي تراه جاء خطاب لك .. تكفين

ابي اسمعها منك الحين.. "

لتعيد سؤالها بصيغة اخرى:

ايه و علومه ؟ قلتي انك بتاخدين رقم امه تباركين لها بخروجه
ورجعته لهم .. اخذتبه..

نظرت اليها .. متجاهلة حديثها : روجي نادي اختك تتقهوى معنا ..
لاتنام على جوع باقوم اطبخ لكن عيشة تاكلنها ؛ وانتى لا تكثرين
قهوة فنجان يكفيك الحين لا تحرق كبذك وتتبكبكين عندي من
معدتك..

لتقف مبتعدة تحت نظرات الذهول التي راحت تلاحقها وقلبها يكاد
يصرخ:

بيبيمه و قفي تكفيين تعالي فاتحيني بالموضوع والله ماتقومين الا
وانا موافقة ... والله..

لكن الاخرى لم تسمع لصوت قلبها .. وهي رجحت الأمر ان
والدتها ستستخير هي قبلاً ثم تخبرها....

.

.

ان كان يظن..

انه سينام بعمق وتواصل فإن لمعدته رأي آخر بالأمر..

و آلامها تشتد عليه كل حين يشعر بها ك أسيد حارق داخل جوفه ..
لا ينطفئ بشيء..

لكنه لم يملك طاقة تُحركه من فراشه حتى .. ليرسل رسالة

مُختصرة الى " الليث " .. مفادها ان يُحضر له مُسكن حالاً..
دقائق حتى فُتح الباب ودلف من خلفه منقذه يفتح اضاءة المكان
مقترباً ليّمده بـ كيس ملاء بالأعجاة:
الذيب تكفى لازم تشوف لك يوم تروح تفحص فحص كامل
ماصارت قرحة معدة اللي مالقيت لها علاج للحين.

سحب علبة الدواء من بين يديه ليأخذ منها حبه دون ماء .. ثم
اتبعتها بنوع اخر من الحبوب ؛ ليرمي برأسه على الوسادة من جديد
ثم يغطي عينه بذراعه.. : اطلع وصك الباب وراك وطف النور
اللي فتحته..

لكن الاخر كان له رأي آخر ؛ وهو يتجه الى دولابه .. يفتحه
مخرجاً حقيبته سفر رياضية تعلق على الكتف .. ثم يتأمل الملابس
مُختاراً ما سيأخذه:

خلاص قوم معنا اجلس شوي ؛ ما بقى شي ع المغرب ..
وللمعلومية ترى بنسري انا وانت مكة خط حجزت لجداني بـ
طيران ومحمد معهم ؛ اما انت فـ قل لجدتي انك مشتاق لخطوط
السفر اللي تمترها سردادي مردادي " رايح جاي " مثل قبل ..
ياويلك تقول انه السبب تراه حاقد علي من يومي خبيت عنه انك
خارج..

اغلق الخزانة وهو يقترب منه .. وقد اختار ما سيضعه بالحقيبة
مكماً ثرثرته:

ايه .. ترى جدي ناوي عليك نيتين قشرا ! قلت له باخلي عرسي بعد
شهر ؛ قال تم عرسك وعرس الذيب بليلة وحدة ! تلاحق نفسك
ودبر لك عذر قبل هالتدبيسه اللي بيدبسك اياها والله ابو عبدالله انت
ادري فيه لاحظ شي براسه وش يسوي..
بعدين انا اجلت عرسي لين تطلع عشان توقف معي ما اجلته عشان
تعرس معي بنفس الليلة!

يسمع الذيب المتمل : وش فرقت يعني ؟ نفس الليلة ولا ليلة ثانية

..

ليجيبه بحماس وهو يغلق الحقيبة التي اعدّها لعمه .. جالسًا بجواره
على السرير:

الا تفرق ونص ! انا بعروسي بادق الثقل والتكانة والرزانة..
اما عرسك انت ؛ انا ناذر اني اجيب شاعر المحاورة وانا
بنفسي بقابله .. لكن بعروسي ! والله غير تنقد علي امة محمد كلها ..
تكفى يا الذيب شوف لك حل لا تنكدها على بناخيك اللي وده يفرح
فيك حاول تأجل هالموضوع الحين..

يعلم يقينًا ان الليث .. يرى ان ارتباطه بمثل هذه السرعة ضربًا
من جنون كما يرى عو ذلك ؛ ولكنه لا يستطيع ايصال تلك الفكرة
له بشكل جيد لذلك يتعذر بـ رغبته بمشاركته الفرحة وتأجيل الامر
لاشعار آخر..

لذلك نطق بما قد قرر ابقاءه سرًا له صباحًا:
الليث ؛ تراني خطبت الصبح واهل البنت عطوني..
و العقد بعد اسبوع ان قاله الله والعرس بعد شهر سوا انت تمت
عرسك او اجلته..

قدر لحظات صمته التي تبعت ما افضى به اليه .. ليستقبل اذنه
بعدها صوت صراخه المفعم بالغضب:
لااااااااااااااا الله ... صراحة انا استسلم .. استسلم..
يعني انا اقولك يا الذيب وانا امور اهم بكثيير من بنات محمد
ومراكضك وراهن .. اللي ما وداك بداهيه غير ابوهن و الت..
صاحبه ! وانت ... رايح تراكض من فجر الله تخطب منهن .. ما
كفالك العمر اللي ضيعته وانت متحمل ذنب ما هو ذنبك سائر على
خبال أبوهن يوم انغر وقرر يصير يفجر بنفسه ونفوس خلق الله ..

انا من يوم قلت لي يالليث اسكت عن الموضوع وانا ساكت ...
لكن انك ترمي بنفسك بالنار اكثر لالا ما راح اسكت .. والله لانزل
لجدي واقول له .. سكتني عن ال... راضي عشان خاطر بنات
محمد ووصية محمد !!!! .. والحين بدل لا تخطب من ناس صاحية
وتجيب لك عيال يشيلون اسمك رايح تخطب من ناس ببسهم ضاع
عمرك .. تستهبل انت ! وبعدين بناته يحسبونك قاتل ابوهن .. وكل
ماجيت العوبا فضحت بي وسمت نفسي وبدني بكلامها والحين
رضن فيك والا خافن لا رفضت ما عاذاك دافع لهن ريال .. ؟
ماعليه ما درن عن قلبك الحنين ما هو بقاوي بينات محمد يومك
بلعتني انا الموس عشان لا اجيب طاريه ..
حتى شهادتي ب راضي ما صدقوها بسبايبك ..
انا مدري ليش مرهق نفسي ومضيع عمري ورا واحد بايع عمره
.. تحسب انك يوم تدمر نفسك لاجلهم ولاجل وصية ابوهن
بترضيهم .. والله يا ان مايرضيهم كود التراب اللي يسفنه ..
راجع نفسك بالذيب لاتقهر جدي اكثر .. اصلا وش بتقوله بتقول
رايح اخطب من بنات محمد ؟ ترى جدي وان ما تكلم بشيء لكنه
حاس ان كل هالمصايب من وري محمد .. كيف تبيه يقبلها ويروح
يخطب لك بنته ؟ جدي حتى راضي ما هو مصدق فيه ويقول البلا
بخويه وان جاء طاري محمد حتى الترحام ما يترحم عليه .. انت
تبي تجلطنا كلناااا .. كللناااا .. عشان ترتاح .. تجلطني انا وتجلط
جدي وطبعًا حنا بحريقة .. اهم شي بنات محمد وامهن وكل
تـ.. من طرف محمد يهملك اكثر...

ثم اندفع بموج غضبه خارجًا من المكان كُله تاركًا الباب مفتوح
على مصرعه .. والانارة كما هي .. دون ان يُدرك ان انفجاره ذاك
.. ادى الى " دمعة " .. انسابت من عين المعني بانفجاره .. حتى
استقرت على شعرة من شعر عارضه الابيض ..

ليلاً..

كان بحاجة مُلحة للسفر بسيارته دون رفقة ليحمل حقيبته مندفعًا للخارج قبل ان تراه والدته .. ف حينما اخبر والده برغبته بالسفر برًا لوحده قد انفعل وغضب .. لكنه في نهاية الامر قد رضخه لطلبه واخبره ب ذلك بعد فراغهم من صلاة العشاء...
لذلك لم يكن لينتظر اكثر .. وهو يقرر الهرب من المدينة و من اهله ومن نفسه قبل كل شيء..
لكن حتى ابسط الامنيات لم تتحقق .. والحياة البخيلة بمسراتها عليه ترمي امام سيارته المُتكتف الغاضب .. وهو يمنعه من الخروج ليدور حول السيارة .. فاتحًا باب الراكب دالفاً جواره مغلقًا الباب ثم يرمي بحقيبته الصغيرة في المقعد الخلفي..
لم ينطق بشيء وهو يتحرك بسيارته منطلقًا الى مكة بصمت لا يتخلله الا صوت الراديو و تراتيل الشيخ سعود الشريم التي نشرت السكينة في قلوبهما اخيرًا...

.استيقظت بمزاج رائع...

وهي تنظر للسريير الذي امامها اختها تجلس تتلاعب بخصلة من شعرها ب سرحان..

تعلم خلجاتها جيداً ولا بد من ان هناك ما يشغل بالها.. لكنها لن تسألها عن شي حتى تأتي هي وتخبرها .. كما اعتادت..
تحركت من فراشها وهي تقصد دورة المياة .. لتخرج بعدها بحثاً عن ما ستتناوله تسمع اصوات النساء في الخارج كعادة ليليه في التجمع كل يوم في منزل واحد منهن وهذا اليوم كان الدور على منزلهم..

جلست في الصالة تتناول شطيرة الجُبِن وبيدها كوب شاي .. لتأتي الزين من خلفها:

امي خلت لك من صينية المكرونة..

المهرة : مو مشتيه..

لتردف هي بعد ان رأت مزاجها الرائع في محله : امي من اليوم تنتظرك تصحين مررره واضح شايله هم زعلتك امس تكفين مهرة لا تاخذين بخاطرك وتدققين على الموضوع تعقدينه مثل دايم عليها خلاص عديه.. اصلا العصر سألتها اذا بننتقل الشقة وقالت لا .. شفتي كل شي يهون ولا زعلتك عندها

رفعت حاجبها بضيق من نظرتها الضيقة للأمر:

يعني انتي تشوفيني ادقق واعقد .. وكأنه موضوع عادي..

الزين تكفين اسكتي مالي خلق هواش من جديد..

لتمسك بهاتفها الذي انشغلت عنه هذا الاسبوع باختباراتها .. تفتح احدى حلقات مسلسلاتها المفضلة .. تتابعها وقد اقتربت منها الزين تشاركها المتابعة بهدوء..

حتى انتبهن الى دخول والدتهن المبتسم بعد انقضاء السهرة اخيراً وعودة النساء لمنازلهن .. ليقفن بروتينيه اعتدنّها الى الخارج يحملن صواني الشاي والقهوة و التسالي التي في المكان ويعدن بها الى المطبخ..

تتولى المُهرة تنظيفها فاليوم هو يومها .. و والدتها و الزين
يتشاركن الجلسة ب الصالة وحدهما ..
لتعود اليهن .. ووالدتها تتعامل مع الأمر وكأنه لم يكن وهي تسرد
لهن اخر اخبار الحيّ وما تم تداوله بينهن ..
نظرت الى اختها .. المرتبكة وعيناها الغريبتين المُترقبة تلمع وهي
تكاد تسترق الكلمات من لسان والدتها حينما تطرق الأم لزفاف
احدى بنات الجيران والدعوة التي الحققتها:
وعساني افرح فيكن قريب يابنياتي واشوف عيالكن ..
ضحكت بسرّها وهي ترى اختلاجات اختها الخجلة المفضوحة !
ماذا .. هل تُحب شخصًا .. ام ان هنالك امر هي لا تعلمه ؟
تبسمت على حماقات اختها .. ثم اعادت النظر للهاتف متابعة
المسلسل من جديد بعد ان تبادلت مع والدتها احاديث تأكدت منها ان
" الحطب طاح " بينهما ..
لتكمل ليلتها اخيرًا ب سلام....

.

كان قد احرما من ميقات ذو الحليفة .. واستمرا فيّ طريقهما كل
منهما غارق في التلبية
ليتوقف حينما طلب الليث بهدوء من الذيب ان يقف عند احدى
المحطات ليبتاع الشاي لهما ..
ليفعل ماطلبه منه ؛ وهو ينزل الى دورات المياة حتى يبتاع الليث
ما اراد .. حينما عاد .. وجده يجلس في مكانه خلف المقود .. أي
انه سيكمل القيادة عنه .. ليتوجه هو الى كُرسي الراكب مغلقًا عينيه

حينما اكملت السيارة مسيرها .. حتى وصلا الى وجهتهما .. واقفا
السيارة في احدى المواقف القريبة من الحرم .. ثم ركبا احدى
سيارات الاجرة
ليسأله الليث : وين تبي ! الفندق معاي ترتاح لين صلاة الفجر ولا
تبي الحرم..
ليجيبه : الحرم اكيد..

خمس دقائق استغرقها حتى وصل الى ساحة الحرم خفيفة الزحام
في مثل هذا الوقت من الليل..
ليقف امام الكعبة بعد ان صلى الوتر .. يدعو ويدعو..
حتى ارهقت قدماه من طول وقوفه ليجلس امامها..
مُلحًا في دعائه .. لقد فقد ابجديات الحروف كلها و فصاحة اللسان
التي كان ينعم بها .. هو الآن هكذا يدعو الله ببعثرة الشعور و عجز
اللسان و كل شتاته..
يدعوه بدعوات لم يُصيغها لكنها هي انطلقت من جوفه حارة مُلحة
.. ولأول مرة .. يدعو الله على من ظلمه وشتته دون شعور..
آتى الله مُنكسرًا .. ولم يخرج من ساحة الحرم يومها الا و قد جبره
الله .. دون ان يعلم..

انهى دعائه ؛ ثم استند على جدار الحرم قارئًا ماتيسر له حتى
الفجر .. حتى حينما آذن المؤذن ؛ آتاه اتصال ابن اخيه " محمد "
يخبره انهم قد وصلوا .. ليخرج اليهم يتولى دفع والدته ب العربة و
محمد يتولى امر والده..

ليبدأون عمرتهم سويًا برفقة الليث بعد ان فرغوا من صلاة الفجر

..

حاول معه الليث للمرة الاخيرة : عمي الذيب هات جدتي ادفها
عنك انت اخشع ب عمرتك الحين .. وانا اتولى جدتي..
هم برفضه للمرة الثالثة .. الا ان والدته قد هتفت اخيرًا وهي تدرك

صحة تفكيره:

والله ما يعتمر بي غير الليث الليلة .. رح خذ عمرتك وانا امك ولا
خلصنا نتقابل كلنا هنيا .. هيا رح تقبل الله منك و عفى عنك و
رضى عنك..

لم يجادل الامر بعد حلفها .. ليترك العربية لليث .. ويبدأ هو بعمرته
مُفردًا .. تآنى بها و بدعائه مستحضرًا قلبه و ندمه .. حتى انتهى
وهو يجلس في ذات المكان منتظرًا حتى انتهى الجميع و عادوا الى
الفندق بانهاك..

وجد نفسه وقد شارك والديه في الغرفة ذات الثلاث اسره
بينما الليث و محمد " القطبان المتنافران " تشاركا ذات الغرفة
كان يود ان يكون مع الليث .. لكن لهفة والديه على وجوده منعته
من ذلك .. ليستلم لارهاقه .. نائمًا بعد دقائق من وصوله للسرير

....

.

بعد ان انتهت الثلاثة ايام بمكة..

كان يقود السيارة في طريق العودة مع الليث
الذي عاد اليه غضبه من جديد حانقًا من قرار عمه الذي اتخذ ..
يحاول بكل ما أوتي ان يُثنيه عنه تارة يحادثه بليّن و لطف وتارة
يجن جنونه

لكن التجاهل الذي يمارسه الذيب في حقه كان مجحف .. حتى هتف

بنبرة راجية له:

تكفى يا الذيب .. لا تفكر بقلبك فكر بعقلك وخذك اناني هالمرة بس
و اتبع طريق فيه مصلحتك .. مراح كثير ما بقى
فكر معي .. واحد مثلك قضى سنينه مسجون ظلم..
حميًا لبنات صاحبه اللي وصاه عليهن لا ينضامن من بعده .. ما
يستاهل يتعوض ؟ انا م اقولك اقطع عن بنات محمد عادي كمل
معهن وتجمل بس ماله داعي العرس وانك تاخذ وحدة منهن ..
البنيت ملي البيوت طق على باب ناس اجاويد مالك عندهم شي ولا
لهم عندك..

جانب واحد من حياتك خليه يكون مستقر .. ضروري يكون لك
بيت واسرة و مستقر تستكين فيه..

انا ما اشوف اي توافق بينك وبين بنت محمد والله علاقه تفتقد كل
ركائز العلاقات الصحيحة بينكم سوء فهم كبير لدرجة كفيله انه
يهدم بيتك قبل ما تبنيه معها .. ناهيك عن فرق العمر لأنك لو
معرس من هاك السنين كان عندك اطفال حول عمرها .. انت
بنفسك لو تفكر بعقلك بتعرف ان كلامي صح..

تحسب ان الحميا بتفيدك هالمرة بعد ؟ لا صدقني

انا اقدر اقولك تزوجها ثم تزوج عليها مرة ثانية واستقر معها بس
بكذا انت ظلمتها هي وش ذنبها بنية صغيرة تكون بالرّف مركونه
.. و انت ماخذ مرة ومستقر معها

البنيت صغيرة بتنخطب وتعرس ويتسهل امرها...

لا تحمل نفسك فوق طاقتها اكثر .. تكفى يا بو محمد هالمرة فكر
بكلامي زين ... لا تقهرني اكثر...

كان قد قنع تمامًا من ان يجد جواباً منه وقد التزمه صمته .. حتى
مّل ولف شماغه حول وجه مُغطياً عينيه بُذراعه كابتاً غيضة
بداخله .. ف سنوات السجن جعلت من الذيب شخصاً يتمرس

الصمت ويتقن فنونه جيداً..

حتى انسابت الى اذنيه ابيات تسربت من فمه لينطق بأطول كلمات
نطقها منذ خروجه وقد وصلت الى اذنه و ارعشت قلبه ..
وتساؤوله الموجه الذي يرثي به حاله يتردد صداه في اذنه دون
توقف...

لِي مَتَى يُشْبِه شُرُوقِي يَا بِنِيَاخِي غُرُوبِي لِي مَتَى وَأَنَا اتحاشا من
شُعُورِي وَأَتَفِيَا الْبِلَا إِيَّيْ كُلِّ مَا جِيتَ أَتَحَلُّلُ مِنْ دُنُوبِي مَا لَقِيتَ
مُسَامَحَةً وَإِبْلِيسُ يَزْهَمُنِي تَرِيَا أَوْجَعْتَنِي ضِيقَتِي وَالنَّاسَ حَوْلِي
مَادْرُوبِي بَيْنَ قَوْمِ (ن) مِنْ وَصَالٍ وَبَيْنَ قَوْمِ (ن) مِنْ جَفِيَا كُلِّ
مَا ضَاقَتْ عَلَيَّ أَوْ سَاعَهَا بَاخَتْ غِيُوبِي وَإِنْ سَلَّمْتُكَ يَا الْمُوَاجِهَ
مَا سَلَمْتُكَ يَا الْقَفِيَا لَا تَقُولُ أَبُو مُحَمَّدٍ مَالِي عِيَالٍ وَعَزُوبِي
وَبِنِهِ (مُحَمَّدٍ) وَأَنَا مَانِي هُنَاكَ وَلَا هُنَا قُلِّي ذِيبٌ وَالْإِبْلَاشُ أَنْ
ضِقَّتْ قُلُّ لِي يَا جَنُوبِي وَالْجَنُوبِي مَا ذَبَحَهُ إِلَّا الْمَسَامِحَ وَالْحَمِيَا
ضَاعَ عُمْرِي وَانْكَسَرَ قَلْبِي وَرَبْعِي غَرَبْلُو بِي وَوَقْفُولِي وَآخِرَ
الْمَشْوَارِ بَاعَتَنِي شَفِيَا !! يَا مُحَمَّدُ وَاصْدِقَايَ اللَّيِّ مَسَاكِينِهِمْ جِيُوبِي
رَوَّحُوا حَسْبِي عَلَيْهِمْ . . مِنْ هُنَا لَيْنَ الثَّرِيَا لَا تَقُولُ عُيُوبِهِمْ خَلَهُمْ
وَعَلَّمَنِي عُيُوبِي كَأَنَّي غَلْطَانٌ عَلَّمَنِي وَأَنَا اتَأَسَفُ بَلِيَا وَالصَّحِيحُ
أَنَّ الزَّمَانَ اللَّيِّ غَدَى دُوبَهُ وَدُوبِي قُلْتُ وَدَاكَ نَنْهِي الْمَوْضُوعَ
وَنَحَلَهُ ؟ وَعِيَا.

الابيات للشاعر " - علي بن حمري "

اعتدل في جلسته .. ملتفتاً اليه .. يُدرك تمامًا ان بوح عمه قد

اقترب .. ليجده قد باح سده ناطقًا:
انت تحسب اني ما فكرت باللي قلته كله ؟ لا والله الشاهد اني
فكرت واستخرت من يوم دريت اني راح اخرج وانا استخير..

انا ابيهن حولي .. والله لولا الحيا وان نفسي مالها قبول كان خطبت
أمهن وعيشتها ببيتها اقضي لها حوايجها لاتحتاج احد وانا موجود
لكن نفسي ما تقوى اخذ من كانت حليلة محمد لي...
وانا رجال عايف .. مابي من الدنيا لا مرة ولا ولد ولا تلد..
البنات ان كان قبلت تعيش معي ماني مانعها ولا انا مقصر وان
طلبت الطلاق فالموضوع راجع لها اللي يهمني اني من اعقد عليها
امها تكون من محارمي العمر كله..
وبكذا ماني ظالم احد باذن الله..

وابوي لا تشيل همه .. ما احد عارف علومي كلها كثر ابوي .من
سمعته يقول لامى البيت اللي يأشر عليه اخطي له منه عرفت انه
خابرني وخابر اللي باسويه .. العرس عفته والموضوع كله راجع
للبنات ان كان تبي تكمل ولا تبي تطلق ما يهم.. والموضوع برضى
امها و برضاها ماجبرت احد علي..

ثم صمت لدقائق حتى اردفّ بما ارهق عقله من تفكيره وعجز عن
تفسيره: ..

الا ائي يالليث .. في حاجة عجزت افسرها و اتقبلها..
سأله بفضول يريد معرفة الكثير:
اللي هي ؟

امال رأسه بضيق وعيناه تتابع الطريق بتركيز:
انا يوم خطبت طلبت اكبر بنات محمد " الزين " .. لكن الغريب ان
امها رفضت قالت الزين لا وان كانك تبي ف المهرة لك وان ماتبيها
ف مالك نصيب عندنا...

شَهقة مصدومة صدرت منه حتى التفت له الذيبَ بازدراء وهو
يسمعه:

لااااااااااا يا شبيخ العوبااااا لاااااا .. لا تكون قلت وافقتهااااا!!!

ليجد الجواب من نظرتة .. و كل التعقل الذي كان يرتديه قد ولى
وطار وهو يصرخ من جديد:

قاااااااايل لك انت واحد تحب الشقى .. تحب الغثى .. تحب الهم ..
عمرك ضاع ظليمه و قهر وتعودت على هالشي ما انت وجه
حريبيية يوم ترمي بنفسك من جديد بسجن بنت محمد ! الحين
مالقيت الا العوبا المجرمة اللي الود ودها تقتلني وتقتلك قبلي حسبي
الله عليها هي وبناتهااااا هذي خطتها ودها تقتلك على البطيء
زوجتك بنتها ... الحين انا كيف ابات ليلي وانت متزوجها ..
حسبي الله فيهن وبالحریم كلهن حسبي الله..

ليتعالى صوت الراديو الذي رفعه الذيب وهو يردف معلقاً على
جنون صراخه:

الله يبارك فيك ياابناخي .. وجهز نفسك بعد يومين والله ما يشهد
على عرسي الا انت...

عائلة معتق

الأب معتق - متزوج نورة
لهم من الابناء خمس .. ابرزهم

-

الابن الأكبر عبدالله (ابو محمد) .. متوفي هو وزوجته وابنه
الاطوسط..

لديه من الابناء:

محمد : 29

عزام : متوفي

الجفول : 20

-

الابن الثاني:

عساف " ابو راهي " - زوجته مناير

له من الابناء:

راهي - 35

الليث - 31

بنة : 23

غلا : 19

-

بنات محمد بن فهد..

الزين : 23

المهرة : 20

-

شخصيات لها ظهور قريب

عبدالعزيز: 31
جواد: 27 - ابن هيفاء

-

راضي: 42

نوف: 36

شيمه:

الفصل الرابع...

.

.

دخل الى المنزل الثالثة فجرًا .. مع ان وصولها كان العشاء الا ان طاقة الليث المتفجرة طوال الطريق الذي رافقه به وعصبيته الحانقة جعلته يوقف السيارة منذ ان دخلا للمدينة ليخرج منها مندفعًا .. مُشيرًا الى احدى سيارات الاجرة متجاهلاً اعتراضات الليث وعوده " بالصمت " .. على ماقرر..
لكنه كان في حاجة ماسة للاختلاء بنفسه .. لذلك ما ان توقف

السيارة امامه حتى ركبها امرًا صاحبها بالانطلاق لا يدري الى اين يذهب حتى .. فقط ذكرى من الماضي دلته على " مزرعة والده " ملاذه حين يضيق .. يُخبر السائق عن وجهته .. غير مُدرك لسيارة الليث التي تلاحقه .. والذي ما ان ادرك وجهته واطمئن لمكانه عاد للمنزل تاركاً له السيارة بتأنيب من ضميره على تماديه بالكلام مع عمه..

لم تكن المزرعة كما تركها بالطبع ف التغييرات ملحوظة بالمكان ولكن لازالت تحمل تلك الروحانية بها.. وصلتته رسالة لهاتفه من الليث يُخبره انه قد ترك له السيارة امام المزرعة.. اطال بقائه صامتاً مفكراً ..ومدركاً ان الليث محق فيما اخبر ولكنه لن يتراجع ولن يجادل.. لقد حسم الأمر واستخار الله في أمره وكل ما سيحدث بعد ذلك " خيره.. "

حين شعر بتأخر الوقت عاد وهو يحمد الله ان والديه مازالا في جدة وطائرتهم بعد الفجر ف لو كانا هنا لاضطر الى البقاء في المنزل وقتها.. دخل حاملاً شماغه ع ذراعه بملل إلى الصالة الهادئة المظلمة الا من نور خفيف قادم من المطبخ و صوت " العجانة " يصدر منه.. رمى بالذي يديه على الاريقة .. وهو ينظر الى المطبخ بعينيه الحادثين مُتعباً من استيقاظ احدهم الآن.. ما ان اقترب حتى تراءت له ملامح يعرفها وصاحبته مُنشغلة في خفق شيء ما بين يديها بقوة وانفعال.. تأملها قليلاً .. بمظهرها اللطيف ذاك و هي ترفع خصلات شعرها كلها لاعلى في ربطة على شكل كعكة تمردت بعض الخصلات

منها .. لم تكن سوى .. ابنة اخيه المفضلة .. ذات شامة العُنُق ..
اصدر صوتاً منخفضاً لتنتبه لوجوده قبل ان تُفزع .. فنظرت اليه
بدهشة وشي من الخجل اعترأها وهو يراها بهذا المظهر الرث
الجفول بـ خجل مقتربة للسلام بعد ان تركت ما بيدها و اوقفت الة
العجن: عمي ... الحمدلله على السلامة عُمره مقبولة يارب ..
بادلها السلام مُبتسماً وقد انتيه على بقايا الطحين العالقة في وجهها

:

منا ومنك صالح الاعمال وانا عمك .. وش هالحوسة عندكم عزيزة
اليوم ؟

مُشيرًا لعدد من الاصناف الموجودة على الطاولة من خلفها ..
مسحت ارنبة انفها في عادة تفعلها عند التوتر:
لا لا اا ماعدنا شيء بس انا احب اسوي كيك و فطائر وعادي اللي
يصحى بياكلها

ثم اردفت وهي تتجه نحو سخان الماء : اممم بسوي لك كاس
شاي و ادوئك من الفطائر حارة تو خرجتها من الفرن ..
لم يعترض ف رائحة الخبز الشهى بالمطبخ .. فتحت شهيته للتذوق
ليجلس على احدى كراسي طاولة الطعام:

الله يعطيك العافية بس لا يكون شي مففل معدتي ما تتحمل ...
نفت برأسها وهي تُذيب السكر في الكُوب : لا اا م استخدم بهارات
حارة جدي وجدتي ما يقدرن عليها ..

التفتت متسائلة : اكيد شاي منعع!

وافقها وهو يراها تقترب منه تمده بـ الكوب ثم تضع بعض
ماخبزته في صحن تقربه منه ..

ليهم في تناوله .. وهو يراها تعود لما تفعل بـ صمت ..

وقد تبدلت ملامحها لشيء من الضيق والتوتر ..

التزم الصمت وهو يراها قد عدلت عما تفعله تضع الخليط في علبة
و العجين كذلك داخل الثلاجة ..

ليرمي بكلمته:

الجفول وانا عمك كملّي شغلك .. عادي لا يكون عشان جيت ترى
باكل هالقطعة وطالع غرفتي اريح للفجر ..

نفت بجزع من تفكيره:

لاا والله عمي مو قصدي بس يوم شفت الكمية اللي سويتها حسيت
كثيره حرام عادي الباقي دام فرزنته متى م حبيت اسوي سويت ..
كله انت بالعافية وقول لي رايك ..

ثم اقتربت منه تجلس على الطاولة امامه وهي تشاركه الاكل بقطعة
واحدة حتى يبقى ..

ابعد نظراته عنها وهو مُدرك ان شيء ما يجول في خاطرها:
وش فيك متضايقه ... ؟

رفعت رأسها بدهشة .. ثم نَفَت سريعًا .. ثم نطقت بـ : لاا مب
متضايق ..

لنفر منها دمعة .. وهي تصد بوجهها عنه بشكل افزعه .. تغطي
وجهها بكفيها .. ويبدو ان قد ضغط على زر الانفجار بسؤاله ..
اتسعت عيناه .. وهو يترك ما بيده متحركاً حول الطاولة جاثياً
امامها:

الجفول عمي وش فيك ؟ احد قايل لك شيء مزعلك .. متهاوشة مع
البنات .. ولا محمد ضايقك

حركت رأسها بـ لا .. ليعيد سؤاله مصرًا : كيف لا ؟ ليش هالبكي
طيب فهميني ..

لم تُجيبه الا شهقات بُكائها .. ليصمت قليلاً ثم يهتف باسم شخصاً
يرجو الله ان لا يكون هو السبب:

الليث ضايقك بشي ؟

حينما اعتلى صوت شهقة البكاء .. ادرك انه عرف السبب اخيراً ؛
ليشتم داخله " الجَلْف " الذي لم تسلم من جلافته حتى هذه الرقيقة ..

ليتنهد وهو يبعد كفيها عن وجهها باصرار:

علميني بس وش مسوي لك ؟ باروح الحين ارته وهو نايم بـ فراشه

لين م بعض الأرض قيد انه رافع ضغطي اليوم انا بعد وما سلمت
منه .. علميني بس وش سوى؟ رامي عليك كلمة مزعلتك ولا
غانك ب اسلوبه وهماجته ؟

توالت شهقاتها وهو ينتظر جوابها بصبر وطول بال .. تُدرك حتمًا
انه لن يتركها قبل ان يعرف السبب من مظهره وهي في اشد
الحاجة لشخص يسمعها ويفهمها .. ف قد كتمت حتى انفجرت ..
وليس باستطاعتها الشكوى لاحد

ف اقرب اثنتين منها هُن اخواته .. ولا تستطيع شكوته لهن ..
واخيها مُحمد يحمل بعض الضغينة على الليث واي شكوى منها له
سيعتبرها سببًا مبررًا للانفصال وهي لا تريد الانفصال ابداً ..
همست له بصوت خافت باكي : هو .. اصلا .. ما عمره كلمني ..
من عقد علي مهمشني .. بكل حاجة .. مو معتبرني شي بحياته ..
أحس إني انفرضت عليه فرض .. مع اني والله عارفه الليث م احد
يغصبه على شيء .. بس ياعمي .. مو معقول .. ما عشت فترة
خطوبة صاحية .. مو مهتم .. ما اعرف شخصيته ابد .. محمد ما
يبيه وكل كلمة والثانية يقول لي يمديك تتراجعين وانفصلي عنه
وجدي ياكتر ذم با اطباعه .. حتى عمي عساف وهو ابوه يقول
والله اني سافطك لراهي مو له!

انا م ادري ليش يسوي كذا .. ليش يتجاهلني والكل اصلا ملاحظه
.. لا ملكة ولا شي بس عقد ولا يكلمني بعد وقبل كم يوم يقول
لمحمد العرس بعد شهر ! كيف كذا .. كل شي بيبه على كيفه ..
راكني بالرف .. مو معبرني .. وفجأة بيحدد العرس ويبيني اكون
رهن اشارته واخلص بشهر ..

انا بدبت اخاف من حياتي معه .. م اعرفه .. مالي مواقف معه ..
حتى مع اهله بارد ..

تأملت ملامحه المتغضنة وهي تدرك انه مارها بالحديث الذي قد

يبدو حاملاً لشيء من الجراءة .. مع من لم تلتقيه سوا منذ ايام: ..
اسفة عمي .. مو قصدي اضيق عليك والله بس انا متضايقه بالحيل
.. بالحيل .. وخالايفة .. مو قادرة اقول شيء او اتكلم لاي احد ..
و انفجرت فيك

شد على كفها بين كفيه مقطعا : الجفول ! افا وانا عمك از هليها
علي والله ما يصير خاطرک الا طيب .. وأسمعها مني كلمة حق
الليث رجالات .. والله وشيخ الرجال و لو خطبك شيخ بن شيخ
اني ما ابيه على الليث ابد هو صحيح حار .. فكره مصدي
وعيشته عند جدانه اول عمره وطبايعهم عاذا ماثره فيه .. بس
ابشري باللي يسنعه لك .. وابشري بكل ما تبينه والعرس .. مافي
عرس بعد شهر ؛ ان قاله الله عرسكم بتحددينه انتي واياه شور
بينك وبينه بدون ما احد يتدخل .. بيكلمك هالفترة تبخصينه زين
وتبخصين طبايعه .. وتعرفينه .. لا يغرك بروده مع خواته ترااه
رهيّف قلب م يتحمل فيهن شي .. ورجال وقت اللزوم شروى اسمه
.. والله يا انه سوى لي اللي ما سواه ابوي واخواني..

تفجرت ملامحها خجلاً ! والدمع العالق في محاجر عينيها تساقط
اكثر دون صوت وانفعال .. ماذا الآن .. هل سيخبره الذيب بانها
تريد محادثته وانها " مشفوحة الوصل! " بينما هو بائع...
تلعثت دون ان تجد الكلمات التي تسعف .. لترتجف شفيتها
معترضة بندم : عميي لا .. تكفى لا تقول له يكلمني لا لا .. والله
مو قصدي انا انفعلت وجلست اقول كلام ماله داعي بالله انسى
خلاص بس بغيت افضفض .. ولقيتك تسمعني..
ضحك مدرگا الى اين ذهب تفكيرها ليرد بتأكيد : يابنت ماني بقايله
شيء .. والله لا يجي هو يرجي وصلك .. ووقتها انتي دقي الثقل
عليه مثل ما تبين ماهو بداري عن شيء .. اما موعد عرسكم .. ف
خليه علي بياجله وهو ما يشوف الدرب اللي صبره سنة ونص

يصبره ويخليه يطقها سنتين وثلاث واربع لين ما ترضى الأميرة
عليه ؟ ولا... .

ضحكة انسلت من شفيتها جعلته يتنفسُ الصعداء وخاطرة تجول في
عقله لا تدركها هي " هالحين هذي والليث ولد عمها عايش معها
بكت ضايقة عشانه عقد عليها وما كلمها وانا ادري الناس بالليث
وبقلبه الممتلي فيها ! اجل اللي تحسب اني قتال ابوها وش سواتها
... "

زفر بضيق .. انتبهت له هي .. لتسأله وهي تكفكف بقايا دمها :
وش فيك عمي..

ليجيبها باختصار واقفاً فجأة : فيني اني الزمان يشبّ في صدري
وأنا مالي سواة إلا إني أشرع ضلوعي للهبوب تهبّها وانا عمك..

لم تفهم حديثه.. ولم يمنحها اي تفسير وهو يسمع صوت اذان الفجر
الاول : انا بروح اتوضى للصلاة .. وان كان يمديك العصر فانا
محتاجك بخدمة بيني وبينك ماراح يقضيها لي احد الا انت..
سألته بفضول وهي تراقب ابتعاده : تبشر باللي تبنيه .. لكن وش
نوعها هالخدمة..

ليضحك خارجاً : خاطب وابيک تختارين معي شبكة للبننت..
لم تأخذ حديثه على محمل الجد ابداً .. مُعتقدة انه يتحاشى ذكر
حقيقة الامر .. لتزفر هي بشيء من الندم على ما افضت به اليه
حتى وان لم يخبر الليث به ! الا تعتبر على الاقل في نظره هو
ملهوفة على الاحاديث والمكالمات ؟
انتفض جسدها بانفعال.. لتعود هذه المرة مُنظفة المطبخ الذي عاثت
به حتى اقامة الصلاة... .

"كل ما يدرك رضاك ادوره و اسعى له
مثل سعي المعتمر بين الصفا و المروة"

.

اما عند الغافل الذي لا يدري بما يحاك له من قبل عمه وزوجته..
لم تغمض عيناه تلك الليلة والندم يتأكل بداخله لما تمادى به على
الذيب من حماقات تفجرت بسبب غضبه حتى انه نسي معظمها ..
لقد اعتاد على استفزاز خصومه دوماً .. ولم يعتد ابداً ان يستفزه
احد ؛ لكن برود الذيب قلب الموازين كلها امامه ..

قاطع سوداوية أفكاره .. اتصال على هاتف العمل ليجد رقم صديقه
العزیز " عبدالعزیز " .. ليعض على شفته بضيق : بيبيبيبيبيبيوه
وش يفكنا من لسانه ذا...

اجاب على الاتصال وهو يُرحب بمبالغة : اررررررحب ارررحب
يا الله حية ابو الليث وحي رنة تليفونه على جوالي يارجال والله اني
مقابل الكعبة ثلاث ايام ما على لساني الا دعاوي لك دعيت لك كثر
مادعيت لنفسني واهلي.....

قاطع سيّل مجاملاته صوتة الحاد الهازيء : اييبيه على اساس لك
دعوة مستجابة بعد اللي سويته فيني؟ ما تخاف الله انت .. اسبوع
ساحب على العمل .. من متى حياتك الشخصية تدخلها بشغلنا ؟
عمك جاء واستقبلته وعذرناك تسحب بعدها اربع ايام ليش ؟ مكة !
كان رحتم لها بايام اجازة و.. والا على الاقل استأذنت وعطيتني
خبر انك ساحب ياخي حرام عليك .. وين انسانيتك .. اسبوع ماني
قادر احك شعر راسي ولا انتفس من الضغط قايلك انا قاااااايل لك
معك اجازة يوووم واحد باي لغة اكلمك عشان تفهم انت ها .. باي
لغة .. ترا هذي اخر مره انبهك فيها .. واليوم ماراح اداوم والشغل
شيله كله انت لحالك الملفات رميتها على مكتبك لاتخرج الا وانت
مخلصها سمعت وياويلك تتصل علي تسأل عن شي .. مثل ما
كسرت جوالك لي اسبوع وانت ما ترد تراي مسوي مثلك الحين
وباقفل جوالي ومتى م طاح اللي براسي ب ارجع اداوم .. فهتمت

...

ليغلق الهاتف في وجهه دون انتظار جواب منه .. لينظر هو لشاشة
الهاتف بضيق من انفجار عزيز فيه .. يعلم انه تمادى هذه المرة
لكن ركضه وراء عمه وجزعه من ان يصبه مكروه من من هم
حواله اصبح هاجس مُخيف له لذلك تبعه في العُمره ك ظله خلافاً
لشوقه المُتفاقم ل هذا العم بالذات ورغبة بالاختلاء به قدر الامكان

..

رمى بهاتفه جانباً ليمسك بالهاتف الخاص الذي لا يحتوي سوى "
ارقام عائلته و واتساب شخصي و صورها" .. العديد من الصور
لها..

لقد نأى بها عن هاتف العمل والذي يستخدمه ايضا في وسائل
التواصل الاجتماعي خوفاً من اختراقه ذات يوم وان تحظى
صورها لنظرة او ابتزاز من مُخترق!

فتح الفيديو الاخير الذي ارسلته له " بنة " قبل ساعتين ولم ينتبه ..
ليراها تجلس معهم سارحة تَلْف خصلة من شعرها البني باصبعها
في عادة لها .. لتتهف لها بنة بضحك : ياااهوووه اللي ماخذ عقلك

يتهنى به ! وين رحتي

حررت خصلتها مجيبة حين انتبعت لها .. وهي تدفع شعرها كله
للخلف لتبرز شامتها التي يعشق في تحدٍ سافر لـ صبره:
هنا معاكم ؛ بس عقلي مشغول شويات خالتي علياء تقول جاية بعد
اسبوع وتبيننا نتقابل..

ثم عقدت حاجبيها بضيق : وش تصورين انتي ؟ وقفي تصوير
تعرفين م احب..

لتصله قهقات اخته المتلعبة : شسوي أحبك احب اتأمل جمالك
تالي الليل..

لتغلق التصوير .. وينتهي عند كلماتها تلك..

ادرك فحوى كلماتها وانها تقصده .. ليتمتم : ول علييها ذل ماهي
خدمة وطلبتها منها..

اضطجع على جانبه وهو يقرب الهاتف من وجهه اكثر مُكبرا
الشاشة على ملامحها .. يتأملها بلا ملل .. وهو يعيد الفيديو :
هانت ي الجفول الشارد صبرنا سنة وخمس شهور ويومين م حنا
عاجزين نصبر شهر دونك..

منح شاشته قُبله حارة مؤنبًا نفسه : ايبيبويه عزتي لك يبه مسمني
الليث ؛ امحق ليث اي والله .. لو داري عن فعولي ذي كان سميتني
التيس..

لتتسع ابتسامته بهيام ما ان عادت عيناه تشده نحو شامة النحر من
جديد : تيس خروف المهم ان غزالتي لي و هالشامة ما تلمحها غير
عيوني من الناس ...يابعد كل ناسي وهلي هي والله...

"كم ساقني لك قدري اللي وري الجوف
وليتك عن اللي لك وري الجوف داري"

.

جدة..

مطار الملك عبدالعزيز
صالة الانتظار

كان محمد يتمشى في المكان ذهابًا وايابًا .. بينما نظرات جدته
تراقبه وهي تهمس لشريك عمرها بجوارها:
عاد والله يا بو عبدالله عقلي يروح ويجي البنيت ملي الأرض ماني
عارفة اخطب له من بيت من ؟ شورك اسأل عفرا و هيفا كود
يدلني على احد من حمواتهن و لا اقصر اهن..
استند على عكازه وهو يتقدم بجلسته للامام مفكرًا:
والله يا ام عبدالله انا شوري لك انك تسألينه كود ان فباله وحدثن
بييها هو .. وان كان ما شار عليك لاحد كلميهن وشوفي وش يقولن
لك .. لكن لا تعدين الولد بدون شوره..

اجابته بشيء من الثقة وهي تُعدل من نقابها على وجهها:
والولد من يبي وهو توه ماله اسبوع راجعن لنا .. ما ظنتي بباله
احد وما هو مخالفن شوري عن اللي باختارها وليدي وانا ابخص
به ما سميته الذيب عبث رضاي عنده بالكون كله..
اصر عليها بقوله:

حتى ولو الله يرضى لي عليك اساليه من يبي من البنيت وانا قايل
لك اللي يشور لك عليها نطق بابهم ونخطب من ماكانت بنته..
ليردف حديثه بشيء من الوجد : الليث يقول اني استغل بر الذيب
عشان اخليه يوافق ويعرس ؛ هو مايدري وش اللي انا خايفن منه
.. الدنيا مالها أمان .. والواحد ماله الا عياله يقومون فيه بكبره اذا
الله اصلحهم له .. الذيب اللي ضيع عمره بين جدران السجون وش
تالية صبره اذا ما اعرس وجاه من يملا عليه دنياه وينسيه وش
عانى .. والله ومحمد رسول الله انه قايل له اذا تبينا نترك المدينة
ونروح لديار ثانية وين ما تبي تبني حياتك من جديد .. الا انه عيا
.. قال لي كلمة اوجعتني للحين وناها قايدة تكويني..
اكمل مشاركا اياها حرقة .. مدركا ان الحرقه في قلب الأم
اضعاف ولكن .. ماحيلته ان لم يتقن البوح الا مع نورته !
يقول يبه انا اسمي طالع بالتلفزيون القاصي والداني يعرفوني
ويعرفون وش انا مسجون بسبايبه ظنك لو رحت ديرة ثانية ماهم
عارفيني ؟ انا تشهر فيني وصورتي اعروضها والناس شبعن منها
لين ما انحفظت وش بيفرق ديرتن ثانية والا المدينة .. ما هو متغير
شي .. انا في عيون الكل....

صد بوجهه عنها دون ذكر ماتبقى وهو يمسح دمة طارفة من
عينيه ؛ يسمع نشجيتها الباكي بجواره بحسرة أم تمنّت لو فدت
اصغر ابنائها ب روحها حائلة دون وجعه وقهره من مصائب الدنيا
بما فيها..

يتماسك من جديد وهو يرفع كفه لتحت على كفها التي عاد الحناء لـ
يزهّي لونها من جديد:

الحمد لله .. الحمد لله .. سنين تذكر ولا تنعاد .. لعل بالأمر خيرة له
ربي صارف عنه شر اقوى هذا اللي اقله..

لتردد من خلفه .. : الحمد لله ... الله يعوضه العوض اللي ينسيه
لطمة كبده وعناها..

ليسمع صوت نداء رحلتهم أخيراً ؛ يقترب منهم محمد..
يساعدهم على النهوض و نورة الباكية منذ دقيقة تسأله : محمد
تراي سافطة بنّة لك مير خطاطيبها كاترين خالتك عليا مطريتها
عند جماعة امك انها تبنيها لولدها سلمان....
يُجيبها قاطعاً الحديث من اوله : الله يسهل لها دربها ويوفقها بحياتها
مع اللي يناسبها سلمان رجال و البنية تستاهل كل خير...
مكماً في نفسه ما عجز لسانه عن نطقه امامهم " انا ياالله متحمل
الليث زوج اختي ! كيف اتحملة اخو زوجتي وخال عيالي ...
اعوذ بالله بس " ...
ليشعر بعصى جده تحط على ساقه بخفة ونظرة عينيه اليه تُخبره
انه يعرف ما سره بداخله..
وجدته التي اخذت الأمر على ظاهره انه غاضب من رفضه لابنة
عمه .. لكن حقيقة الأمر ان الليث نُسف كل ماضيه الجامح لدى
جده مُنذ ان كرس حياته في سبيل اخراج عمه الذيب من سجنه و
كفاحه من اجل ذلك...
و ليحق الحق .. ف حسنة الليث الوحيدة هو انه لم يتخلى ابداً عن
قضية عمه .. بل انها كانت السبب في تغيير مسار حياته بأكملها
وهو ينتقل بليلة وضحاها من شخصية عاصية متمرّدة جامحة ؛
الى اخرى تماماً وقد صنع مجدداً لنفسه .. بنفسه بعد ان تخلى عنه
الجميع .. ليثبت لهم ان " مصائب قوم عند قوم فوائد " .. وان
كانت مُصيبه الذيب هي الكارثة التي انهدت حياته لاعوام فقد كانت
بداية الانطلاق و الصلاح في حياة الليث....

بدر

الساعة الرابعة عصرًا..

لقد ملت من طول الانتظار و الندم والتوتر يتلفان اعصابها بشدة..
ندمت في انها لم تتبقى لسماع ردِ والدتها على طلبه وعلى ماذا اتفقا
بعده..

و توتر من هاجس احق يخبرها انه ربما والدتها رفضت الأمر
خوفًا على مشاعر اختها الماهرة وان تفسد بينهما العلاقة..
اجل حتى هي تخشى الأمر ذاته ولا تدري مالذي ستفعله مع اختها
حتى الآن .. ولكن لا حيلة لها ب قلبها .. فقلبها عاشقٍ متيم ب
شخص ذلك المبعوض من قبلها .. ولا يمكنها المجازفة بمن تعشق

..

فان كانت اختها تحبها حقًا ست تفرح لسعادتها مع من تحب وتدفن
احقاد الماضي لتبقى بالماضي..
بعثرت خصلات شعرها بضيق وهي تمشي في ساحة المنزل
البسيط..

لتسمع صوت ابنة خالها المتلعبة من خلفها: ..
ماشاء الله اشوقك تمترين الحوش سرحانة ؛ تفكرين بالعريس
الجديد اكيد...

انتفض قلبها والتفت راسها بحدة نحوها تردف دون ادراك : وش
دراك انتي ؟

لتجيبها تلك بتلاعب: بابا حبيبي ما يدس " يخبي " عنا شيء ؛ قال
لي باركي لبنت خالتك جاها عريس .. بس يا ترى من سعيد الحظ
هذا اكيد من جارات امك .. اصلا من يفكر فيك انتي واختك

غيرهم ... وهم بوجيهمك اربع وعشرين ساعة..

لو كانت " الزين " في وضعها الطبيعي المعتاد لادركت ان " تهاني " تريد أخذ الكلام منها والتأكد من الخبر لاغير.. حيث انها سمعت والدها يحادث احدهم ظهرًا وهو يخبره بانه أخذ ابنه اخته لفحص التحاليل اليوم..

وهذا ما اثار غيضاها وجنونها لتذهب لاستفزاز الزين بطريقة ذكية و التي كان من السهل استخراج الكلام منها على نقيض المهرة .. فقط ارمي لها بسنارة فيسهل اصطيادها .. لتدرك هوية العروس من سؤالها فقط..

حسنًا قد هدأ شيء من غيضاها فالمهم لديها ان لا تكون العروس مُهرة ! ليس لشيء الا انها اختارت ان تضع نفسها معها في مقارنة بكل شيء لتقاربهم عمرًا وهي تود لو تزوجت قبل المهرة وسجلت انتصارًا كما تؤمن باعتقاداتها هي..

لتهتف بفتور قبل رحيلها وهي تنتظر للمهرة الخارجة من الباب قادمة نحوهن:

يلا الله يوفئك .. بس لا تنسين تعلميني بـ موعد العرس اشتري لي فستان جديد مهما كان بنت عمتي لازم افرح لها..
ثم ابتعدت دون النظر لملامح الزين المتراقصة .. تلك الحمقاء لقد اثبتت لها ما تاكد تنهار من اجل معرفته..
ورجحت كف ان والدتها ما خبأت الأمر عنها الا لاجل ان لاتثير جنون المهرة فتفسد كل شيء..

قاطع احلامها الوردية .. صوت المهرة المرهق : يوووووه
ياالشمس اليوم حارة مره تعبانه ودايخة شفتوا دمي شفت حسبى الله عليهم مع اني شربت عصير شمندر لين قلت بس اعوض الدم اللي خذوه بس مافاد لازلت دايخة .. امي وييين صحيت م لقيتها على ما

جينا الصبح من المستشفى..

نظرت اليها الزين وقد غاب عنها كل ما قالته لتسألها : هاه ؟ وش
قلتي..

تجيبها بتمل من حالها : انتي وش فيك صايرة فاغرة " سارحة
باحلام اليقظة " كل م قلت لك كلمة قلتي هاه و هاه .. أسالك عن
امي الصبح داخت وودانا خالي المستشفى كنتي نايمة انتي م
صحتك .. بس انا اول م جيت من الجامعة شفتها تعبانة ورحنا
طلع معها فقر دم حاد وانا بعد حلت وطلع معي فقر دم..

ابتسمت لها لتثير دهشتها بابتسامتها الحمقاء تلك : والله يا الزين
صايرة ترفعين الضغط مكثرة جرعة روايات رومنسية و
مسلسلات اكيد..

تنظر للباب الذي فُتح ووالدها تدخل محملة بأكياس عدة .. للتوجه
نحوها تتبعها الزين ب روتينية معتادة..

تسألها مُهرة باهتمام بالغ:

يمه.. ليش خارجة توك الصبح داخة وتعبانة المفروض ارتحتي
اليوم ؟ وين كنتي فيه..

نظرت لاسم المحل المدون على الاكياس لتأخذها من يديها بدهشة :
رحتي المدينة متى!

ناولت الاكياس الأخرى للمتلوية بخجل بجوارها .. وهي تهم بنزع
نقابها عن وجهها:

لا ما رححت متى يمدى اروح وارجع ؛ هالغريضات موصيتهن من
فوزيه ام طلال وما قصرت جابتهن لي معها..

فتحت المهرة الاكياس بين يديها متفحصة : اواني ضيافة جديدة ؟

وش المناسبة حتى ما احنا حول رمضان ولا حول العيد..

لتجيبها بتهرب وهي تدخل يتبعنها : ابد لقيت عليهن عرض

لكن الزين التقطت السبب دون ان تنطق والدتها فالبتأكيد ان الذيب
وعائلته سيأتون في زيارة رسمية بالقرب كما هو معتاد لرؤية
العروس!

وعند هذا خاطر وضعت الاكياس ثم فرت هاربة بصمت تمارس
جنون شعورها وحدها في غرفتها .. وهي تبحث في خزانة
الملابس عما يمكنها ان ترتديه حين حضورهم..

بينما جلست المهرة بجوار والدتها وهي تخرج لها عُلب الدواء من
كيسها:

يمه وقت دواك .. خذيه .. لاتهملينه فقر الدم مو كويس ربي ستر
عليك اليوم يوم دختي ما حطت وضرب راسك بشيء حاد انتبهي
بالله على نفسك من لنا غيرك احنا..

تأملتها والدتها بتأنيب ضمير قوي .. وهي التي قد رسمت خطتها
جيداً .. ادعت الاغماء والتعب قبل قدوم المهرة وحين اتت ورأت
ملامحها المتعبة فرت لخالها تستنجده ليفزع بشهامة لم تسبق وهو
يأخذهما معاً .. تصر هي عليها ايضاً ان تجري التحاليل معها
اطمننانا ليس الا .. والمهرة القلقة لم تجادل بالأمر واخذته على
ظاهره دون ان تدرك ان الممرض بالمختبر صديق خالها وقد
اجرى اختبار فحص ما قبل الزواج على عينة الدم الخاصة بها ..
وطبع نتيجة تحاليل والدتها بورقتين واحدة باسمها هي والآخرى
باسم والدتها .. بينما نتيجة التحاليل سترسل على صاحب الرقم
الذي دونه خالها ولم يكن سوى رقم الذيب..

مدت كفها نحوها مبدده ذلك الشعور من تفكيرها .. لتقترب المهرة
منها دافئة رأسها بدلال في حُضنها : انا افدا ريحتك يمه الله لا

يخليني ولا يحرمني منها...

شدتها والدتها لاحضانها بقوة : ولا يخليني منكن .. انتن سعادتني
بهالدنيا والله يا اني تحملت من الدنيا ما تحملت لانكن فيها ولا ابينك
انتي واختك تفرقون ابد ابينك على قلب واحد بوجودي ومن بعدي
الاخت مالها الا اختها يا امك والله ما حد يفرع لك بدنيتك الا اختك
وما احد يحبك كثرها لا صديقات باقيات لك ولا جماعة انتي
واختك مابي توجعتني بز علكن من بعض وقطاعتكن جعلي اموت
ولا شفتها ولا تسوونها بعدي .. سمعتي يالمهرة الزين اعرفها
يغلبها حنينها و ترجع لك لا زعلت لكن انتي وقو باسك زعلك شين
.. طبوعك ماهي لنا .. والله لو يخرج ابوك من قبره مارضيتي
علينا..

ضاقت من كلام والدتها المبهم .. واجراس الخطر رنت في ذهنها
.. هل تعب والدتها اليوم بسبب ماحدث قبلا من شجار ولكن
الموضوع انتهى .. ام هل هناك ما استجد بالأمر وهذا تمهيد لها..
لكنها لم تناقش اكثر و هي تطمئن والدتها:
يمه اعوذ بالله وش هالكلام اللي يضيق الصدر الله لا يجيب بينا
القطاعة ولا المشاكل ولا يخليني منكن انتن دنيتي وكل مافيهها..
لتشد عليها والدتها باصرار : استحلفك بالله يا المهرة استحلفك بالله
لا عاد تعصين لي شور ابد ولا تكسريني قدام احد .. وحطي ببالك
اني اكثر من يبي مصلحتكن بهالدنيا ولا تقهريني فيك لا تخلين
الناس تقول والله انها ماربت وبناتها يعصنها....

ضاقت حقاً من غرابة والدتها .. وهي تجيبها : الله لا يببيني كان
عاد عصيت لك شور بس انتي بعد يمه ارحميني ارحميني تكفين
واللي تعرفينه يقهرني لا تسوينه لاني لو بلعت موس ورضيت ف
هو عشان خاطر ك انتي لكن تأكدي انه بيكسرني و المهرة لا
انكسرت ما عاد ينجر كسر ها يدفونها ارحم لها وانتي ادري...

لم تدرك ما فعلت كلماتها ب' والدتها التي ابتعدت عنها .. وهي
تتعذر بصلاة المغرب التي تبقى لها ما يقارب الساعة ونصفها ..
لنتحرك هي الأخرى عائدة الى ساحة المنزل والشعور السيء
والضيق يتلبسها بشكل مفاجيء .. لا بوادر للخير تتبع احاديث
والدتها حدسها يخبرها بهذا..
حررت خصلات شعرها ليداعبه نسيم العصر مستكينة بسمعها
لاصوات العصافير تستغفر بهدوء تحاول طرد كل هاوجيس
افكارها...

"حاصرته ضيقة عصير قدام المغيب
لين حطت بين حذب الضلوع مراحها."

·
·

مُنذ عودتها من الجامعة ظهراً
والحماس يكتنفها في انتظار صلاة العصر و معرفة الخدمة التي
سيطلبها ذلك العم العزيز منها..
توقعت منه اتصالاً هاتفياً او رسالة يبلغها بما يريد .. لذلك كانت قد
استقبلت ابنتي عمّها في غرفتها وهن يتبادلن الاحاديث بشيء من

الملل على عكسها .. بنة تضطجع على سريرها مُتكئة على ذراعها .. وهي تُرتب ملابسها في خزانها .. بينما غلا تجلس على هاتفها بحثاً في برامج التواصل الاجتماعي عما يسليهن ..
دقائق حتى طُرق الباب .. لتجيب بنة عوضاً عنها ب : الباب مفتوح ..

اعتقاداً منها انها احدى العاملات .. حتى فُتح الباب واطرق برأسه من خلفه لتعتدل هي بجلستها على السرير قائلة : هلا اا عمي .. والله احسبك وحدة من العاملات ..
تلثفت نحوه وهي تقف بحماس بين كومة الملابس التي تعمل على ترتيبها:

عممي ! هلا والله .. اكيد تبيني برا صح .. الحين جايتك ..
دهشة اعترت ملامح الاختين معاً وُهن يتبادلن النظرات وشعورُ سافر بالخيانة من امر ثالثهن ..
ليدفع الباب قليلاً وهو يقف بجواره:
خلاص عمي اذا مشغولة م يحتاج انا ادبر نفسي ..
لكنها اقتربت منه بعجل وهي تمسك بذراعه بخرج : لا والله ولا مشغولة ولا شي اصلا جالسة من الطفش ارتب دولابي مثل ما تشوف .. وانتظر ك تجيني مثل ما وعدت حماسي كله للخدمة اللي تبيها ..

احمر وجهه بعد ان ادرك انها افشت سره بحماقه امامهن ..
لامشكله لديه من ان يعرفن ولكن حتى الآن لم يفتح والدته بالامر ويخشى ان يصل الأمر لسمعها منهن وحينها لو انطبقت السماء لن ترضى عنه ..

ليدخل مستسلماً مغلقاً الباب من خلفه : طيب البسي عبايتك ياالله نروح السوق ..

لتصدر شهقة موجوعة من غلا .. تتبعها نبرة بنة المؤنبة:
افا ي عمي .. اخذها السوق ؟ واحنا جدران قدامك ماتعبرنا بس

هي اللي تدلحها وتمشيها ايه لانها هي بنت اخوك وحننا بنات
الجيران..

التفتت لغلا وهي تشير اليها واقفة : يلا مشينا نروح قسمنا وش
يجلسنا وهم رايعين يتسوقون...

شعر بالورطة فعلاً .. لاعناً حماقته في فكرته بالاستعانة بـ الجفول
؛ ربما لو استعان بـ الليث لكان الأمر افضل ! لكنه بحاجة لذوق
انثوي رفيع يناسب ما سيقدمه لـ المهرة..
سمع صوت الجفول الغير مُهتمة بـ اقوال بنة ف هي تعرفها جيداً
وتعرف على اي وتر تحب ان تتلاعب:
السوق ؟ هذي الخدمة .. واللي على بالي تبي شي خيالي ومستحيل
.. بس ليش السوق تبي تغير اثاث غرفتك ؟

زفر انفاسه بغيض .. حسناً هو يعذر الليث الآن في تجاهله وبروده
معهن .. ف هن عبارة عن كتلة من الحماقة و الفضول:
مسرّع نسييتي وش قايلك الفجر ؟

صمتت قليلاً تسترجع ذاكرتها .. لتتسع عيناها امامه ثم تتبعها
بشقة وهي تمنع خروجها بكفيها .. ليدرك من صدمتها انها لم
تصدق الأمر فجراً اعتقاداً انها مزحة..

حسناً و هل مازحها قبل هو ؟

اقترب للجلوس على اقرب كرسي كان امامه .. ليجد نفسه مضطراً
للاعتراف امام ثلاثتهن:

انا خطبت و باكر عقد القران و كنت ابي احد يمشي معاي يختار
شبكة وهدايا للبنات واهلها .. طبعاً للحين ماحد يدري غيركن حتى
امي و ابوي مايدرون و اتمنى ما يدرون لين ما انا اعلمهم بنفسي ..
عمكن ياتمنكم على سر فـ خلوكن الامانة..

انتظر عدة دقائق متأملاً وجوههن المعلقة على ذات الصدمة دون
تغيير.. لبيتسم على مظهرهن ذاك ويود لو وثقه في كاميرا لـ
يضحك عليها لاحقاً ان عاد الضحك الى درب حياته وتقاطعت
طرقه معه يوماً ما..

التفتت للجفول سبب هذا المأزق يسمعها تتمم باعتذراتها:
اووووه عمي وربي احسبك تمزح الفجر وربي .. ع بالي تطلق
علي ما اخذت الموضوع بجد أسفه وربي..
او ما برأسه ببساطة:

ولا يهملك كلكن عندي واحد بس اهم شي الموضوع بينا م يخرج
من حدود هالغرفة لين ما الله يحلها..

هتفت بنة بشيء لم تستطع كبحه اكثر : بس عمي كيف يعني والله
حراام ؛ جدتي مره خاطرها تفرح فيك و تخطب لك مايصير تخبي
عليها خبر مثل كذا والله بتكسر نفسها مره..

اغمض عيني بحسرة : وانا عمك امي قدها افرحت فيني قبل
ثلاثطعش سنة وخطبت لي وشرت للمرة شبكتها..
خلاص طعم الشيء ما يتكرر مرتي .. و انا لي ظروف في الحين
ومضطر اني ما اقولها لاسباب كثيرة ما تخصكن..والحين تبني
تمشن معي ولا اسري بروحي..

كانت غلا اول من انتهت من ارتداء عبائتها والتي اتت ترتديها
خوفاً من وجود محمد..

تقترب من الذيب بحماس : ايوااا كيف م نمشي .. اصلا لازم نقسم
انفسنا عشان نخلص الاغراض تحسبها سهالات انت ! ياليت بس
نلقى احد يخلص لنا عربية الملكة بيوم واحد..

التفت للجفول التي انتهت من ارتداءها للعباءة بينما بنة لم تخلعها
من الاساس لذلك لفت الحجاب وارتدت النقاب وكلهن على اهبة
الاستعداد..

الجفول:

ما عليك لو ندفع زيادة يخلصونها اليوم بعد .بس الحين خلي نخلص
من سوق الذهب بعدين نروح للعطور والحلاوة
سألته بنة باهتمام : عمي البنت عندها ام واخوات ؟ وكم وحدة
عشان ناخذ لهم هدايا وليت تعلمنا بميزانيتك ما نشطح باللي ناخذه

..

ارتسمت ابتسامة صادقة على وجهه .. مدركاً ان سعاد حُسني
حينما غنت " البنات البنات ألطف الكائنات " كان لديها بنات مثل
بنات إخوته الحنونات جداً..

الذيب بهدوء: الميزانية مفتوحة وانا عمك ما يغلا على بنت محمد
شيء..

انتبه لارتفاع حاجب الجفول .. و تصفيرة بنة المعجبة .. ولمعة
عيني غلا .. ليقف يستعجلهن : هيا بسم الله الله يبارك لنا بوقتنا...

لم تكن الرحلة مرهقة فالفتيات المتحمسات للأمر جعلنه يمر
بسلاسة عكس ما توقعن داخل السيارة..

فمنذ اختيار الذهب و الاطقم واصرارهن على شراء الدبل رغم
اعتراضه ثم الى محلات العطور و البخور ثم الى الحلوى ومحل
ساعات معروف انهين مشوارهن به..

ثم اتفقن مع احدى محلات التزين لتجهيز العربية صباحاً له .. لم
يفعل سوى الدفع .. ولم يهتم لتفاصيل ما اشتروه ابداً .. سوى انه
احتفظ ب الدبالتين في درج سيارته م ان سعدوا .. ولم يعلق احد

على فعلته..

عم الصمت السيارة في طريق الرجعة .. الا من سؤال بنة
الفضولي:

عمي البنت نعرفها؟ من وين .. الجيران والا الجماعة..
اجابها بعد صمت : لا م تعرفونها من اهل بدر مو من هنا..
لترمي الجفول بسؤالها : طيب كم عمرها وش اسمها .. كيف
تعرفها..

لم يشأ ذكر تلك التفاصيل .. لكنه اجاب ببرود : اسمها المهرة ..
بالعشرين عمرها يمكن عشرين او واحد وعشرين واعرفها عن
طريق ابوها..

صمتن ثلاثتهن .. وقد توصلن لهوية العروس ومن تكون اخيرا ..
فمن يجهل محمد !!!! لم يعرفنه بداية الامر ولكن الان اثبت لهن
هويتها..

العبوس اعترى الوجه وقد ادركن سبب عدم اخباره لوالدته..
لتهتف بنة له:

عمي تكفى .. دام هالبنت بنت محمد واتضح لنا ليش م علمت
جدتي ف ياليت م تقول لها ان حنا اللي سنعنا الشبكة معك لان
جدتي والله ب تحط حرثها فينا..

قاطعتها غلا بغيض .. ايعقل ان يرمي عمها الخارج من دوامة
السجن ل دوامة محمد وبناته من جديد:

عمي !!! اوكي والله فرحنا لك كلنا بس ليش هي وش معنى ليش
تقهر نفسك اكثر .. خلاص الماضي اتركه بالماضي وعيش حياتك
.. وربى في بنات يسوونها مليون مرة

تؤيدها الجفول بقولها : صادقة والله وعمي البنت صغيرة اذكرها
انا بعمرى كانت وياما جات مع ابوها عندنا دلوعة مره تذكرها
كيف يعني اكيد الحين العن من قبل و صراحة يعني لو اخذت

اختها الاكبر يمكن اهون:.....
ليقطع الحديث بصرامة : وانا مابي من البنات الا هي ولا عاد احد
يطريها بالشينة ابد.....

لا تشتكين اللوم وانا هنيا
انا هنيا لأجل ما يلحقك لوم!

ياللي جبينك من غلاه الثريا
ما عاشرت شمسٍ ولا خاوت نجوم

ان كان ما جتني عليك الحميا
ما عاد لي في باقي العمر ملزوم.

·
·

ادرك ان هذا اليوم " مو يومه.. "
ف عبدالعزيز كان عند كلمته ولم يحضر للعمل تاركًا الأعمال بما

فيها فوق رأسه مغلقًا هاتفه ؛ لقد تفجر غضبه بحق ليدرك حين انتهائه من كل أعماله ان عبدالعزيز عامله بالمثل ليس الا .. وربما تفوق عليه في نقطة واحدة انه قد اخبره بتغيبه اليوم .. على نقيض مافعله هو..

من حسن الحظ ان نهار الغد اجازة ؛ ولو انه ولاول مره يتمنى ان يعمل في الاجازة.. على ان لا يحضر عقد قران العم المختل ذاك .. واعد نفسه بالصبر محاولاً نسيان الأمر برمته وإقناعها ان تتوقف عن التدخل بشوؤن عمه اكثر الا هنا ولن يكون له اي شأن

..

اوقف سياراته امام المنزل وترجل منها ..مخرجًا سيجارة من جيبه يضعها فيه فمه صاذاً الهواء عنها بكفه و بالكف الاخرى القداحة التي يُشعلها بها وعينياه تضيق على الغرف التي اعتاد مراقبتها دون كلل .. او ملل..

كل ما يدعوه للصبر هذه الفترة .. تلك التي خلف جدران الغرفة.. فكر في انه لم يبدأ بالتجهيز حتى الآن لحفل الزفاف .. والحجز وما الى ذلك..

لكنه ايضا ليس في مزاج لمواجهة الذيب ومناقشته حول الامر خاصة انه سيقوم حفل زفافه معه كما خطط جده.. رمى بسيجارته ارضا بعد ان اخذ نفساً عميقاً منها زافراً: الواحد حتى بعرسه ما يتهنى يعني كل شي منكدينه عليه حسبى الله عليكن يا مرة محمد انتي وبناتك اللي حتى بعرسى مناشباتني..

اتى صوتٌ من خلفه..

كان ليفزع له لو لم يكن " الليث .. ! "

:أسف طال عمرك بس الظاهر محمد ما عطاك العلم عن اخته .. ووش قررت..

التفت لعمه الذي كان يبدو بانتظاره ؛ رافعاً حاجبه بتحفز مما

سيسمعه: ..

لا ما كلمني محمد ولا شفته من جيت .. وبعدين وش فيها مرتي
اقترب منه ؛ مُستندًا على السيارة من خلفه : مرتك تقول ان باقي
لها هالسمستر بتخلصه وتجتهد فيه .. واللي صبرك سنة ونص
يصبرك اربع شهور صح ولا لا ؟

راى التماع الغضب في عينيه .. ليكمل ببرود:
و طبعاً كلام بنت عبدالله سمعاً وطاعة .. مليون مرة قلت لك لا
تتحري خرجتي وتمم عرسك عليها ولا عليك .. لكن انت زودتها
وتحمل نتايجك البنت بدت دراستها عليك الحين..

الليث بعناد حانق : والله انا يوم قلت لاخوها الموعد قلت له يعطيها
خبر تجهز ؛ ما قلته يشاورها .. شورها عندي انا وهي كلها لي انا
ما احد له شي عندي لو اتلها من يدها لبيتنا و قدّه جاهز ..ظروفي
ما كانت تسمح اتمم عرسي وهي عارفة والحين زانت وبتممه
بنفس الموعد رضت رضت وان ما رضت.....

لم يكمل جملته .. وهو مدرك انه لن يفعل ما سيقول مهما حاول
... كان يود القول " وان مارضت مع السلامة " لكنه متأكد ان
سلامته هو سترحل برحيلها...

ليعلق الذيب مستفزاً:

ايبيه وان مارضت وش بيصير ؟ بتطلقها .. عاد البنية مليون من
يتمناها .. تطلقها من هنا تعرس من هنا على اللي يسواك الدنيا
سهالات..

جنّ غضبه .. وهو يندفع لعمه ممسكاً اياه من تلايبب ثوبه صارخاً
به : عمي اسكت .. اسكت .. الا انت ما ابي اخسرك تكفى خلاص
اسكت ولا عاد تتدخل

عند تالك الـ " تكفى " المتحسرة التي نطق بها .. امسك الذيب بكفيه

مبعدًا اياها عنه : وانت بعد تكفى..
ثم اقترب مُقبلًا انفه بطريقة ارعبت الليث خوفًا مما سيتبعه:
تكفى خل عرسكم بعد اربع شهور..
توترت ملامحه وصد بوجهه عن عمه .. ماباله يُقايضه على روحه
هكذا الا يدري كم قضى الليالي بلوعة واحتياج وشوق .. حتى
يحين لهما اللقاء ؟ وهو الان يطلب منه ببرود ان يأجله اربعة اشهر
اخرى.. !

رجاه بضعف وانهزام : اي شيء الا هذا يا عمي...
لُيتلاعب الذيب بنبرة مخدولة : آفااا ؛ وانا اللي كنت هاقي..
رفع نظراته اليه .. بصمت .. الله وحده يعلم مقدار حُبه لها .. ادرك
الذيب من نظراته تلك انه لن يخذله .. لُيرد ف مهونًا عليه الامر :
انا بارجع اكلمها يمكن ترضى بعد شهرين..
بعدين انا مو فاهم دامك تكلمها وتكلمك ليش ماتقنعها يا محامي يا
شاطر باسلوبك وانت قضايا و موكلين كسبتها ب جلسة وحدة وما
ثنيت عاجز عن بنت عبدالله..

اشاح بوجهه .. ليضغظ عليه الذيب بطريقته المتلاعبية:
يعني مو معقول ما تفاهمتوا على اهم نقطة وحددتوا موعد لعرسكم
.. وش فايده مكالماتكم تالي الليول..

الستدعى نبرة الشك حين امتنع الليث الغاضب من الرد عليه : ولد
! لا يكون كل هالوقت ما كلمتها...
التفت نحوه ليقول بقوة وحقد عليه في هذه اللحظة : ايه ما كلمتها ..
من متى نكلم حريم ما بعدهن دخلن لنا بيت انت عارفني وعارف
اني هالعلوم ما احبها .. دام ما تقفل علي وعليها باب وانزفت لبيتي
عروس ماني مكلمها .. ودامك شايف هالحال خلتها تعدل عن خبالها
ونتمم العرس بوقته الموضوع لا طال اكثر من كذاا قيده بيغدي
ماالصخ..

حك خصلاته بملل من تفكيره الغريب : الليث انت وشلون صرت
محامي تتعامل مق قضايا ورث و خلع و طلاق و عضل و غيره
بتقنعي الحين انك يا شريف مكة ما عمرك كلمت لك مرة ! انا
هالفكر اتقبله من عايلة من يوم طلعت على هالدنيا ومكالماتهم فترة
العقد ممنوعة ليش؟ لانه سلّم وطلعوا عليه .. اما انت هالشي لا هو
من سلمنا ولا عوايدنا. شفني انا وانا عاقد على مرّتي الاولى من
هاك السنين كلمتها وشفتها وبخصتها وبخصتتي .. يعني كلامك ذا
ماخوذ خيره لا تجيني تقنعي بسلوم اهل امك وطبايعهم وانت تاخذ
اللي تشتتهيه منها ويجوز لك وساحب على غيره .. جب عذر ثاني
.. وش عندك مانع عن نفسك عن البنية كل هالوقت ؟

ادرك انه قد وقع في كمين الذيب ولن يتخلص منه بسهولة..
وبالطبع هو لن يبوح بسرّه و يخبره انه امتنع عن رؤيتها وسماع
صوتها خوفاً عليها من نفسه..
لن يحتمل فكرة تصبير نفسه بمكالمات لا طائل منها دون ان تكون
له كُله و امامه .. وذلك الوعد الذي قيد نفسه به انه لن يتم عرسهما
حتى يخرج عمه كان سينقضه من اول مكالمة له معها .. هو هكذا
خير من يعرف نفسه .. و يعرف نقاط ضعفه وهي وحدها نقطة
الضعف التي يتحاشى الاعتراف بها امام اي احد..

تأمل الذيب الذي اخرج هاتفه من بين يديه .. على خلاف ما اعطاه
سابقاً كان يحمل هاتفاً باخر طراز .. ينشغل به قليلاً حتى رنّ هاتفه
برسالة .. ليسمعه:

البنّت وارسلت لك رقمها على الواتساب .. كلمها وتفاهم معها وخذ
العلم من راسها لراسك ماله داعي تدخل محمد و ابوي والقبيلة
بينكم .. وحرارتك علينا خلها علينا بس تراها ضعيفة وبيتيمة
ورضت فيك من خاطر يوم حتى اخوها وابوك ما رضوا بك
مادري وش عادك مسوي لهم..

لم يتحرك من مكانه حتى وهو يرى ابتعاد عمه الواجم لمجلس جده
.. ليرمي مخففاً عما يحرق جوفه:

وانت يا عمي بتسوي مثلي وتكلم بنت محمد ولا !!! عادك على
طبوعك الاولى والا غيرتها .. يومك تبيني أجل عرسي و اكلماها
ورى ما سويت مثلي .. والا انت بس يحق لك ما لا يحق لغيرك ..
تجاهل حماقاته وهو يردف قبل ان يغلق باب المجلس الخارجي في
وجهه:

لاتقارنيّ انا ووضعي بـ وضعك .. لو عاها الامور تمشي على
مشهاي يابناخي كان اشياء كثيرة مارضيت فيها وانا عمك لكن
الدنيا حدثتني على القهر حتى بأبسط حقوقي وحدثت هالضعيفة اللي
باخذها تذوقها معي..

والله لا يكتب لك انت و بنت عمك طعم الغصيبة على اللي
ماتشتهونه..

بنت عمك في وجهي يا الليث .. وراضي من رضاها وزعلي من
زعلها ؛ عاد انت ابخص و فكر واستخير..

.

كان يجلس بعد العشاء وحده في مجلسه بعادة اعتادها يتابع التلفاز
على احدى القنوات الاخبارية..

حينما سمع اخر مارمى به ابنه لـ حفيده والذي يبدو انها قد خاضا
نقاشاً حاداً .. ليتلفت متأملاً ملامح ابنه المتجهمة وقد اغلق الباب
خلفه مدرگاً ان هناك ما سيخبره به لوحده .. اعتدل في جلسته ..

وهو يراه يجلس امامه ممسكاً بكفه بين كفيه رافعاً احداها لـ شفثيه
مقبلاً برجاء:

يبه انا طالبك طلبة ومابيك ترفضها ولا ابيك تناقشني فيها قرار
اتخذته وانا مستخير وداعي الله الخيرة فيه وباذن الله ملاحقني ندم
من وراه..

انت عارف اني مالي بالحريم حاجة وان نفسي طايبة والله العظيم
يبه انها طايبة من الدنيا كلها .. من بعد اللي صار وبعد خيبيتي
الاولى يوم المرة تصايح تبي تطلق وهي مابعد درت انا ظالم والا
مظلوم نفسي طابت .. وطابت اكثر من خذاها صديقي .. ماودي
اهرج في هروج فايته تنقص مني ماترديني .. لكني اوحيتك هاك
الليلة تطري لامي امر العرس وانها تدور لي عروس .. وانا يابو
عبدالله سامعك قايل لها البيت اللي بيبه اخطبي له منه من كان بيته
... انت داري من اللي ابوها .. ماتخفاك بيه ... ويشهد الله لولا ان
نفسى تردني ولا كان خذيت امهن وقمت فيهن لكن ماقويت اني
اخذاها من بعد محمد واسوي سوايا الردي يوم تردى فيني .. انا
خطبت وحدة من بنات محمد وابيكم تمشي معي بدر القابلة نعقد
عليها ونرجع .. امي ماودي انها تدري بشي لين اخلص اموري ..
عارفها والله يا أنها بتحلف علي حلفان يكسر ظهري وما راح
اردها خلني اضمن ان البنيه غدت حليلة لي ثم انا بنفسى اعلمها..

لم يُعقب والده بشيء.. سوى بامر اخر .. ضايقه اكثر:
الذيب وانا ابوك ترى طليقتك ابوها من غضبها على ذيك الفعول
وطاح على رجول راضي حتى يتجوزها بعدك .. بنفسه راضي
جاني حينها وقال ياعم ترى ابو فلانة بلاني بعمرى وهو رامى
نفسه على خذ البنت واستر عليها انت صديقه ما يفرع لها غيرك ..
لين ماقلت له ياوليدي مسموح و.....

رفع كفه بعجل .. يمنعه من الحديث الذي اثار اشتعال اعصابه
اكتر وخداع المُتلون الذي عاشره لسنوات يُقتله : بيه المرة روحت

بحالها والله يستر عليها مالنا فيها حاجة ولا فيه ؛ انا ابيك تعطيني
موافقتك على ما طلبتك وماتركني لحالي ابيك معي تخطب لي
البنية من خالها وتشهد على عقدنا انت والليث..

اعتلت تنهيدة مستسلمة منه وهو يُهديه الرضى بقوله : والليث باي
وجه فازع لك بعرسك وتوه انت وياه متهاوشين وانا اوحيكم..
ليبتسم مقبلاً جبين والده بامنتان : يفرع لي ورجله فوق راسه
وهو مايشوف الدرب بعد ؛ وهالمره تراه مسكين انا اللي مستفزه
وقاهره وحاذفين عرس الضعيف بعد اربع شهور..

وان كان يعتقد ان يجد انصافاً لليث من والده فقد خاب ظنه وهو
الذي قهقه بصوته عاليًا : احسن جزاه خل الشوق يكويه لين يادبه

..

.

بدر

بعد صلاة عصر اليوم التالي..

كان المنزل يعج بالبخور ووالدتها في اقصى مراحل التوتر وهي
تفكر بعجبٍ تنظر لاختها الغريبة الاخرى وهي تكاد تطير من
السعادة وقد بالغت في زينتها بعد ان اخبرتهن والدتهن بقدوم

ضيوف للزيارة..

تأملت نفسها وما ترتديه امام المرآة فُستانٍ من الشيفون يصل
لمنتصف ساقها بتشجيراتٍ ناعمة لتنتهي من زينتها تاركة خصلات
شعرها الخرة تغطي ظهرها..

التفت على الزين المبتسمة وهي تبحث في احدى الاغاني:
ما عرفتي من هالضيوف الفجأة؟ امي شوي وتطير والارض
ماهي سايعتها ومتوترة.. وانتِ قلبي ناغزني احس وراك شي
..هالكشخة مو لله

امتقع وجهها بارتباك وهي تقف هاربة : لاااا وش يعرفني من جاي
ماقالت لك انتي دلوعتها بتقول لي انااا ! وبعدين وش فيها اذا
كشخت خلينا نحلل ملابسنا ونستانس بدل ماهي مخزنة في الدولاب
ما تنلبس..

رفعت حاجبها في اشارة لعدم تصديقها .. وتلك تخرج من المكان
الى حيث امها تقف بالمطبخ تجهز القهوة والشاي في الصواني:
امي قلبي هاتِ عنك الاغراض ادخلها غرفة الجلوس قبل يجون
الحريم وللحين مُصرة مو قايلة لنا من يكونون هالضيوف ؟
اجابتها وهي تناولها الصينية : ايه ماني بقايلة ومايخصك اخصي
علي ونادي اختك تساعد..

تدخل المهرة على ذكرها وهي تقترب من صينية الحلا المجهزة
لتمنعها والدتها بقولها : لااا رصي كاسات الشاهي بـ صينية ووديتها
الغرفة والحلا خليه لا جن الضيوف..

فعلت ما امرتها به .. لتلحق باختها متعجبة من هذا الوضع جدًا ..
ليجتمعن جميعهن في الصالة منتظرات ضيفات والدتها السريات ..
حتى طُرق الباب لتقف والدتها بتوتر .. تمنعهن من الحاق بها ..
لتخرج .. تعود بعد ثوانٍ عدة .. وهي تخبرهن : الزين تعالي معي
ابيك بكلمة راس بالغرفة..

ثم التفتت للمهرة متسعة الملامح بريبة:

وانتي خذي صينية الحلا من المطبخ ودخليها غرفة الجلوس
بسرعة .. الحريم على وصول... !

ثم تأملت خطوات والدتها العجولة وهي تنأى باختها في غرفتهن ..
للتحرك بضيق من هذا التجاهل وخاطر يرواها ان هُنالك عريس
لـ " الزين " في الامر...

حملت صينية الحلوى من المطبخ وهي تخرج للممر المؤدي الى
غرفة الجلوس والذي له باب اخر خارجي كذلك .. تدخلها بهدوء
والهواجيس تلفها دون ان تنتبه لمن كان يُشاركها المكان .. تضعها
في مكانها المخصص ثم ترفع رأسها ناظرة للمكيف تتأكد من
أعدادات بُرودته.

حتى تسرب لـ سمعها صوت رخيم يحمل عبق ماضي قديم تعرفه:

و الله و كبرتي يالمُهر و جابتك هالدنيا لي واقع بعد ما حلمتي..

يَتصلب جسدها في مكانه وهي تلتفت برأسها نحوه..
لتسقط عينها عليه .. وذكرى حلم راودها من نبرته لتراه متجسداً
امامها هكذا في كُرسية مبتسماً كما رأته في منامها قبل اربعة عشر
عاماً ... وربما أكثر...

5:47 _____ مّ:

ليلةٍ فيها على قلبي زبنتي
ليتني غايب هذاك اليوم عنها

كنت احبك واستلذك يوم كنتي
مهرةٍ ما ضاع من كفي رسنها

ان وزنتي منطقتك وان ما وزنتي
ما لعبرات العيون الا وطنها

الزمن وقّف على ذكراك وانتي
غلطةٍ عيّا العمر يدفع ثمنها
الفصل الخامس..

"مازلت أنا الفارق المتفرّد الأعدب
مهما عثوا في بيادر حزني أشباهي"

1:30 ص

رمضان - المدينة المنورة

حي الشهداء 1429هـ

على عتبات المنزل العتيقة كان يجلس ثلاثتهم وبرفقتهم بعض من
ابناء الحي.. يلعب امامهم بعض الاطفال بالكرة والآخرين قد
اجتمعوا امام تلفاز موصول بـ جهاز "بلاستيشن " .. كل منهم
ينتظر دوره للعب .. بينما البقية اختارو الوقوف امام " البسطة "
لشراء البطاطس المقلية من ابن الجار الذي امتهن الصنعة واختار
كسب عيشة في ليالي رمضان منهم..

صرخ عليهم اقدم بصوت عالي : مسلم قدم البنيت خلهن ياخذن
الدور اول ؛ العيال ماهم طيرين للفجر وهم يلعبون بالشارع عندنا
لكن البنيت رايات بيوتهن اخلص عليهن اول..

ليردف المنهمك في عمله: ابشر ابشر يا ابو زينه ماطلبت الحين
اخلصها..

ليعود الاخر للحديث معلقا على احد الصبية المراهقين اللذين
يلعبون امامه:

ولد يالليث مالحقت عمك الذيب بالكورة غشيم مايعرف ولا انت
طالع لعيب شرواي..

قهقهه من حوله على تعليقه الذي لا يمت للحقيقة بصلة .. و الذيب
يقف امامه رافعا ثوبه من اسفله ليربطه على خصره وقد اخذه
الحماس لمشاركتهم اللعب ليخرج البديل:

الليث وانا عمك حولها لي حولها..

ليرميه ذاك بالكرة ..وملامحه الفتية تتفاخر بدخول عمه المحترف

للتعزيز على الرغم من اعتراضات الفريق الآخر واتهامهم بالغش
.. فالنتيجة اصبحت محسومة...

ليقف راضي بعده مسانداً فريق الخصم : لا لا تزعلون عمكم
راضي جاي معكم ؛ م عليكم بالليث وعمه..

استند محمد على " المركي " من خلفه وهو ينظر اليه بملل :
يارجال اقعد لا تفشل نفسك ما انت غالب الذيب تعال بس تعال خلك
من هالبزران و علمني كم وصل السوم على سيارة بن عليثة اللي
البارح..

لم يجد جواباً منه وقد اندمج في لعبه .. ليشاركه الحديث من تبقى
معهم بالمكان حول السيارات و بيعها وشرائها..
يسمع من خلفه صرخة الليث الحماسية ب : قووووووول وجبنا
عليكم هدفيبيبين ... مستفز عين بعمي راضي اجل .. ما احد مثل
عمي الذيب بالكورة..

ليقطع حديثه مع من بجواره وهو يرمي بكلماته لليث : كفو وانا
عمك .. ياراضي ارجع مالك ومال الكورة الذيب ابخص بها ؛
تعال ودي تعلمني عن سومة السيارة ناوي اشترىها..
يقتررب منه راضي بغيض بعد هزيمته : ترا قلبت راسي ما كن
بيشري سيارة الا انت ؛ سومة سيارة بن عليثة علمها عند بن عليثة
وانا وش دخلني فيه .. ازهم عليه وانشده..
ليعتدل في جلسته ؛ وهو يقدم له كوباً من الشاي:
خذ بس خذ روق واخزي ابليس وبن عليثة من يكون ماهو رحيمك
انت اولى انك توسط لي عنده ينزل السوم انت خابرني مامعي
قيمتها والسيارة ماهي بهاك الزود..
اخذ الكأس منه بغضب وهو يتكىء على المركي بجواره .. يتجاهل
حديثه..

يتأمل الذيب المستمر في اللعب بلا تعب والصبية المتحلقين من
حوله بحماس الشباب و اعجابهم به..
بينما محمد قد توقف عن الحاحه وهو يرى قدوم ابنتيه اليه بين يدي
كل واحدة منهن صحن من البطاطس .. لتجلس الكبرى جوار ابيها
والصغرى فيه حجره..
شعرَ بالانزعاج حينما سدّد الذيب رميته السابعة في مرمى الخصم
.. ليشيح بصره عنه وهو يبدأ بالحديث عن السيارات من جديد
معهم..

يشعر بتقديم الذيب اليهم الذي انتهى للتو شوط المباراة بعد ان ضمن
فوز فريقه .. يعد الفريق الآخر ان يلعب معهم في الغد ليكون الفوز
من نصيبهم...

و هكذا هي مباريات الشوارع .. بلا انظمة..
انتبه لجلوسه على الطرف الآخر من محمد .. وهو يمد يده يلعب
الزين:

وش هالزيبين ياالزين ! والله انا قايل لابوك لا تسميها الزين بتظلم
البنيت من عقبها ماتخلي لهن زين..

وتلك الطفلة تتطاير فرحاً ل اطراءه .. ونظراتها تنتقل الى بنات
الرجل المُقابل لهن بغرور والتي هي على خلافِ طفولي معهن..
ليرفع كفه عنها .. وهو يحمل المُهرة من حجر ابيها والتي آبت
بغضب على غير عاداتها ان تأتي اليه وهي تصرخ:
اتررركني باجلس عند ابوي .. ما ابي اجلس عندك .. ما احبك
انت .. ابي ابوي بس ... اترركني..

تفاجيء من هجومها ذاك .. وهو يتركها كما تريد .. يشاركه
الدهشة والدها وهو يسألها : ااااا يا المُهر ؟ علامك زعلانة على
عمك الذيب اللي يحبك وش سوى لك ..؟

لم تجيبه بشيء وهي تدفن رأسها في ثنايا صدره .. ترفض حتى
النظر للذيب الذي قام من مكانه جاثياً امام قدمي والدها التي

تحملها:

اذا والله .. افاااااااااا .. مهرتي زعلانة مني ؟ لبيبه يا عمي وش سويت لك .. انا اصلا ماشفتك لي يومين بجدة ليش هالزعل مني...

تجاهلته تمامًا .. ليغمز له والداها:

خلها بالذيب خلاص هي هالحين زعلانة منك .. وحتى الهدايا اللي جبتها لها من جدة لا تعطيتها اياها .. خلها كلها من نصيب الزين..

وان كان يعتقد بقوله ذاك انه سيؤثر على ثبات موقف ابنته بشيء فقد أخطأ .. لقد استمرت بتجاهله وتجاهل النظر اليه حتى مع محاولاته في استرضاءها .. الى ان استسلم أخيرًا وهو يقف: م بقى شي على السحور .. باخذ الزين معي تاخذ هداياهن وارجعها لك..

ثم انحنى يقبل مفرق شعر الغاضبة : وانت يالزعول هداياك امي شرتهن مب انا لا ترمينهن قولت مابي من عمي الذيب شي تراهن من امي..

يقف محمد بجواره وقد قرر الذهاب لمنزله هو ايضا : اصبر ماشي معك انا .. وكم مره اقولك ماله داعي الكلايف للذيب لاتعود البنيات على الدلع بكره كله وحدة تكبر ويصير ودها باشياء انا مالي قدرتن عليها..
ليجيبه دون اهتمام : بنياتك ماعليهن قاصر يابن الحلال انا وانت واحد..

همس محمد بامنية طالما تمناها : يارجال والله لبيت ان عندي اخت والله انها ماتغلا عليك وخل بنت علي تدور لها ذيب غيرك..

ليضحك الذيب بقوله : لبيبيه ؟ وهي بنت علي جت بالساهل عشان
اتركها واخذ اختك ؟ يارجال كم سعينا لها بيدينا ورجولنا ما صدقنا
اخيراً تصير من نصيبنا...

يأتيهم صوتٌ من خلفهم لم ينتبه احدهم اليه : هذا كلامك عنها ؟
وتقنعي ان ما بينك وبينها مواصل وحب..

التفت محمد اليه بغضب .. دون كلام .. بينما الذيب اكمل مسيره
بثقة : ما يحتاج اقنعك يا راضي بشيء .. كانك تعرف معنى حب
على وضح النقى بتعرف ان الانسان لا لقي الشخص اللي يألفه
ويحس انه شريك لحياته بيتمنى يكمل معه العمر كله .. ولا له
داعي هالمواصل بدون شرعية الله .. والمحبة اللي ماتجي من
الابواب ماهي محبة .. هذي من ردى النفس وردى صاحبها وانا
الحمدلله لا ني بردي ولا بنت الاجواد اللي اخذها رديه..

لقد الجمه الرد .. وظهر ذلك على ملامحه .. لكنه تتمم معتذراً :
علامك شديتها ما اقصد شيء..

ليجيبه : وانا بعد ما اقصد شيء .. كلام قلته وجاك جوابه..
فتح باب منزلهم ما ان وصلوا .. وهو يحلف عليهم ب قوله :
والحين والله دام وصلتوا باب بيتنا غير تقلطون للسحور معنا..

حاولا التملص من دعوته .. الا انه لم يسمح لهما .. وتحت
اصراره قد دخلا بعد ان اتصل محمد ب زوجته يخبرها ان لا
تنتظره للسحور..

جلسا في مجلسهم وليست سوى دقائق حتى اتى عساف واخوته
وابيهم..

والذيب يحاول في صغيرات محمد ان يخرجن الى بنات أخوته
اللاتي ينتظروهن في الخارج .. الا ان الزين كانت خجلة والمهرة

ترفض ذلك بتاتا .. ف لم يجد حلاً سوى منادات بنات اخوته ليأتين
ويقتعنهن بالخروج معهن..
تقدمت البنات بنة .. وتتبعها الجفول بينما فرّت غلا راکضة لحضن
والدها ما ان رآته بين جموع الرجال جالس..
لم تأخذ الزين معهن سوى محاولة واحدة .. فخرجت برفقة بنة التي
اغرتها ب العاب في الخارج .. بينما الجفول وقد بقي على عاتقها
اقناع المهرّة وهي تهمس لها بهدوء:
تعالى نلعب برى .. عمى الذيب مشتري لنا العاب كئيبيرة من جده
ومشتري لنا ملابس للعيد .. حتى انتى اشترى لك فستان تعالى
شوفيه لونه ابيض احلى من حقى .. انا لونه وردي..

تأملت نفور المهرّة منها .. وهي تنظر اليها بغيض اخافها منها
وكانها ستتنقض عليها من شدة انزعاجها .. لكن بقيت تراقب عمها
الذيب الذي انحنى للمهرّة وهو يرجوها : والله طولتي زعلتك يابنت
.. طيب علميني انا وش سويت لك ؟

التزمت الصمت لدقائق .. ثم نظرت اليه بقوة وكانها تدينه على ما
رأت : شفتك بالحلم..
لنتسع عيناه ضاحكاً بدهشة : اااااااااا .. اثري مطينها معك بالحلم ؛
اجل استاهل والله..

يتعالى صوت قهقهة والدها الذي ادرك الامر اخيراً:
وانتى طبعاً يابوك حتى اللي يغنك بالحلم ؛ تعاقبينه بالواقع ؟ م
لقيتي الا عمك الذيب تزعلين منه ؟ لو عمك راضى مانى بقايل
شي اقشر من يومه .. لكن علميني عمك الذيب وش سوى لك
بالحلم اللي مزعلك هاللون .. وحاقدة عليه..

التفت اليه مجيبة باندفاع طفولة:

كنت العب بحوش جدي اللي ببدر وجيت انت وملا بسك كلهاااا دم
ووجهك دم لونه اسود .. وقلت لي ادخلي المجلس تلقين علاجي فيه
وانا رححت اركض للمجلس ابي علاجك ولقيته هو جالس لابس
ثوب ابيض على الكنبه يقول لي انا تزوجتك خلاص وابوك مات ..
وجيت اركض ابي اخرج لك ولقيتك مختفي بس بقيت ثيابك اللي
فيها الدم والزين بحضن امي تبكي بالحوش تقول لي كله منك كله
منك .. وهو اخذني يسحبني من يدي للسيارة يقول خلاص تمشين
معي ابوك مات .. شوفي ثوبه هو باقي منه ..

كانت تتحدث بانفعال لوالدها .. ولم تدرك ملامح الذيب التي
اكفهرت من خلفها وهو يندفع للخلف مستعيذاً بالله مما رأت ..
يمسح وجهه .. خارجاً من المكان كله بقلب مقبوض ..
بينما بقى والدها والذي انسحب الدم من وجهه .. يتأملها لدقائق ثم
رسم على ملامحه ابتسامة لم تصل لعينه : وبس ؟ هذا اللي
مزعلك منه يا بابا .. هذا الشيطان يبني يخرّب عليك وتكرهينه ولا
عمك الذيب مايسويها فيني ويأذيني ولا يأذيك ما احد يحبكم بعد
حبي الا عمك الذيب .. تعوذني بالله من الشيطان لا شفتي احلام مو
زينه وخلاص لا تقولين هالحلم عند احد ابد .. واصلا عمك قريب
بيتزوج واللي شفتيه كله من الشيطان ... والحين خليك شاطرة ولا
تسمعين لكلام ابليس وروحي مع الجفول اللي من اليوم تنتظر
تبيك تلعبين معها هيا ..

لم تطّل البقاء بعدها وقد اقتنعت باقوال ابيها اخيراً .. لتذهب مع
الجفول خارجاً .. التي م ان وطئت قدمها لساحة المنزل .. حتى
لحق بها الليث وهو يدفعها بغضب للامام:
بنت ماتشوفيني من اليوم أشر لك بعيوني تخرجين برى ؟ تعاندين
وواقفة عند هذي وابوها وش دخلك .. كم مرة اقولك مجلس

الرجال لا تدخلينه حتى وهو فاضي كيف والحين فيه رجال ؟
انقلعي ياالله عند جدتي ياو لك اشوفك برى حتى بالحوش انقلعي...

ليأتيه صوت من خلفه حادًا بغضب : ولد .. وش عندك تهاوش بنت
عمك كذا .. الجفول مالك كلمة عليها .. وعمي الذيب اللي ناداها انا
كنت فيه وشففت .. وحتى غلا جوا ليش ما تروح تهاوشها بعد ولا
بس فالح تستر جل على هالضعيفة..

التفتت .. ليجد اخيه الأكبر - راهي - .. ليرمي بشرر نظراته على
الجفول التي فرت هاربة برفقتها مهرة ليُجيبه حينها ببرود : مالك
شغل .. كيفي .. اهاوشها اضربها .. هالشي ما يخصك .. انقلع
عني..

كادت ان تقوم بينهما معركة .. لكن الذيب الذي عاد من المطبخ
بمزاج اسود:

اقسم بالله تتهاوشون انت واخوك قدامي الحين لأكفر فيكم .. واعيد
تربيتكم من اول وجديد اعلمكم كيف تحترمون الضيوف لا جاكم..
ليتوقف الاثنان مكرهان وهما يتقدمان منه بصمت .. يحملان عن
سُفر العشاء و الصحون .. ليتبعها هو لاحقاً بصينية الشاي و
الكريمة .. وعلب المياه..

.

بدر..
الوقت الحالي..

وكان XXXX ب الساعة التي كانت تدور اختارت ان تتوقف عند
هذه اللحظة من الزمن .. تعود لها ذكرى المنام بثواني..
وهي تتأمل ملامحه بصدمة قبل ان تدرك انها لم تعد تلك الطفلة
التي كانت تلعب بين يديه يومياً .. ولم يعد هو الصديق الوفي
لوالدها لتأتمنه على نفسها دون حجاب..
تتحرك بخطوات متحفزة للخارج وفي داخلها الكثييير من الصراخ
التي تنوي ان ترمي به اليه ما ان يحول ذلك الباب بينها وبينه .. :
انتظر .. راجعة لك يا ولد المعتق .. بالخسيس..

لُتصدم .. وهي ترى والدتها بانتظارها في الخارج عند الممر
المؤدي الى صالة النساء .. تحمل بين يديها جهازاً لا يخفاها وهي
تقول بشيء من صرامة:

اسمعيني يا بنت محمد .. ياللي محاربة الدنيا عشانه وهو مات
عسى الله يرحمه ويتوب عنه .. ابوك اخر ساعة له بالدنيا اتصل
بي .. وقال لي بالحرف الواحد .. لو جاك بيوم الذيب خاطب من
بناتك عطيه.. ولو في ذمته ثلاث حريم خلي " المهرة " رابعتهن ..
خصك انتي بالاسم وما خص اختك .. ابوك ما سفطك للذيب عبث
.. ولو عمك الذيب له مصلحة في قتل ابوك ما كان كلمني
ووصاني ازوجك له..

ويعلم الله انه حتى لو من غير وصاة من ابوك وجاء لي الذيب
خاطب غير ازوجه الزين لانها تستاهله .. لكن هذي وصاة ميت ؛
وتنفيذاها عليك واجب .. وانا مالي بحمل امانته اكثر..

ثم مدتها بالجهاز قائلة : ياتبصمين الحين وارضى عليك ويرضى
ابوك في قبره .. يا انك ترفضينه ووقتها .. والله والله والله وهذي
ثلاث حلوف ؛ اني لاخذ اختك الزين وامشي المدينة ولا افكر فيك

ولا عادك لي بنت ولاني راضيه عليك لا بحياتي ولا بموتي ..
والشور عندك .. وتذكري وش حلفتي عليه امس...

تاملت الدمعة العالقة في محجر عينيها دون ان تذرف حتى ..
وملامحها التي قست .. فجأة .. وهي تهمس بضحكة مخذولة:
والله أني عارفة قلبي كان حاس ان فيه مصيبة جاية..
قلت لك اياها يمه قلت لك الله لا يببيني ان كان عصيت لك امر ..
قلت لك .. وقلت لك بعد الشي اللي بيكسرنى لا تسوينه لاني لا
انكسرت ماعاد لكسري جبر..

رفعت اصبعها السبابة لتخط به على الجهاز .. ثواني حتى توثق
عقدتها كزوج وزوجه .. وهي تسحب اصبعها .. تمنح والدتها
الباكية امامها بنشيج اخر كلماتها:
عظم الله أجرك يمه فيني .. كان كلامي ذا بيوجعك فانا اقولها لك
.. انتي اليوم ذبحتيني يوم بيدك سلمتيني له..

لنتراجع بخطواتها .. دون ان تخطوا للداخل فرارًا منه .. بل عادت
اليه .. وهي تدخل الى الغرفة التي لازال بها .. واقفًا .. لتغلق
الباب من خلفها تمنع بكاء والدتها ان يصل اليها..

اما هي..

فما ان دخلت والدتها معها الغرفة .. حتى شعرت بتفجر نبضاتها
بين ضلعها خجلاً وترقبا .. وهي تفرك كفيها ببعضها البعض
ونظراتها نحو الارض تنتظر!
وحين طال انتظارها لثواني .. رفعت رأسها لترى والدتها لاتزال
خلف الباب الموارب وهي تنظر الى الخارج متممة باستغفار..

لتندفع بعد ثواني امامها للصلاة .. وهي تتبعها بدهشة واحساس
متأخر ان هناك خطب ما بها..

رأت خالها الذي ناول والدتها شيء لم تدري ماهيته .. ثم والدتها
التي اتجهت الى غرفة الجلوس امامها لتتبعها بقلق وقد شهدت
الموقف كله! ..

ولو كان حينها لدوي المشاعر وانكسارها صوت .. لشهدت بدر
كلها على ذلك الانكسار..

لم تتمالك دموعها التي هطلت وهي تنظر الى والدتها .. التي
حطمت قلبين دون ان تدرك .. يتعالى نشجيتها المتحسر على حالها
وحُبها الذي ضاع و وئد في مهده..

حتى حينما اقتربت منها والدتها مُحْتَضِنُه باكية .. ودت ان تدفعها
بعيدًا .. بعيدًا..

لكنّها في النهاية قد شدت عليها وهي تدفن رأسها في حُضنها : ليه
يمه حرام الام .. يمه ... حرام ... قلبي .. احسه بيطلع ... إلا
المهرة .. يمه الا اختي...

ثم اسرّت بداخلها امرها .. وهي تنوح حُبها .. لبيت التي آثرت به
غريبة لا تعرفها .. ليته كان ذلك .. لكان لها امل في وصاله .. لكن
المهرة قد سدّت ابواب الوصال جميعها اليه..

سمعت صوت والدتها هامسةً في اذنها : سامحيني .. سامحيني يا
امك .. انا ادري الناس فيك ادري الناس والله .. لكنها وصاة .. وان
غيرتها ورضيت فيه لك ذنبي عظيم .. سامحيني وسامحي ابوك
اللي دخلنا في دوامة ارتاح منها وحننا ندفع ثمنها للحين...

عند قولها ذاك .. صرخت بوجع دفنته في حضن والدتها .. التي
شدتها اليها .. طالما كانت ذات ملامح مفضوحة ولكنها الآن تشعر
بالخزي لتعري ملامحها امام والدتها..

لكنها لم تتوانى عن نطق ما بقلبها رافة به : قلبي يمه قلبي
يوجعني ليته تزوج اي وحدة ... ليبييت .. لكنه اخذ اختي ..

والله قلبي يوجعني احسه .. بيتقطع .. يارب يروح هالشعور من
داخلي ... يارب ... خلاص..

سمعت تمتمات والدتها الباكية بصوت شديد : قولي لا اله الا الله ..
ماهو نصيبك .. ربك كاتبه لاختك من هاك السنين .. ابكيه الحين
وانسيه .. لا عاد تفكرين فيه وحرميه على نفسك حرمة الام على
ولدها .. وربى راح يعوضك والله العوض عند ربي ما راح
يكسرك...

لكن كل ما نطقت به لم يكن شيء .. لم يكن سوى كم مسته كيه
النار على كبده .. وهي تحتضن والدتها تنظر للباب المغلق من
خلفها .. تُدرك ان من خلفه ليس سوى هو " حُلم العُمُر " .. وشقيقة
العُمُر... " ...

.

في المجلس الخارجي..

كان يجلس هو و جدّه و الشيخ الذي أتى لعقد قرانهما وخالها ورجل
علم فيما بعد انه اخ لزوجته خالهم..
لم يكن بالمكان اي دلائل على الفرح او السعادة .. بل الضيق الذي
اعتراه منذ دخوله جعله يلتزم الصمت حتى لايفسد الأمر مع عمه
اكثر .. وقد أثر المجيء بسيارته وحده تفاديًا للتصادمات معه..

تأمل ساعته بملل .. فبعد ان آتم عقد الرجال .. وطلب الشيخ موافقتها..

نادى خالها الذيب للدخل ولم يعد حتى الآن .. بينما عاد هو من الداخل حاملاً جهاز البصمة بين يديه ليجلس الشيخ قليلاً ثم يودعهم مع اخ زوجته..

ليبقى ثلاثتهم ب المكان فقط .. يسمع تبادل جده الحديث مع الخال ولا حديث يذكر حول العقد وغيره .. بل احاديث عامة عن الاراضي في بدر واسعارها و الXXXXات..

اخرج هاتفه .. متأملاً الرسالة التي ارسلها فجرًا لتلك.. والتي رأتها .. ولم تُجب عليها حتى الآن بأي شي .. وهذا الأمر وحده كفيل باشعال غضبه من تجاهله هكذا وتجاهل رسالته الأولى والوحيدة لها..

تأمل اسمها لثوان .. وهو يشاهدها قد اصبحت " متصل الآن.. " ليضطرب نبضه بشكل مفاجئ .. وهو ينتظر انتقالها لـ " يكتب " .. لكن الامر طال ولم يحدث ذلك .. بل انها قد خرجت من البرنامج ليزداد احباطاً فوق احباطه..

اغلق هاتفه وهو يعيده في جيبه معتدلاً في جلسته ليزفر أخيراً ما ان رأى عمه القادم .. والذي ما ان وقعت عيناه على وجهه المكفهر الاسود .. ادرك ان ابنة محمد قد قامت بالواجب ونفثت اليه بسمها

..

قال بفضاضة ليست من طباعه : الليث خذ أبوي وتوكل انا لاحقكم بعد دقائق..

ليقف هو ناهضاً ب حماس وقد آتاه الفرج أخيراً .. يساعد جده في النهوض كذلك وهو يسمعه يسأل عمه:

علامك يا وليدي متوخر عنا وعايف خوتي يوم ترسلني مع ذا ؟

رفع حاجبيه مستنكراً حديث جده امام الغريب عنه هكذا ! ليجيبه الذيب مبعداً نظراته للخارج:

أخسي أعاف خوتك بيه .. بس المرة ماشية معاي المدينة وأخاف
انها تستحي منك..

كاد الليث يشهق بفرع وهو يترك ذراع جده متجهاً لعمه بغضب ..
يسحبه من ذراعه مبتعداً عن باب المجلس للخارج:
تستحي منك أجل؟ كثرررر منها .. ماخوذ خير حياها العوبا ؛
واضح ماقصرت فيك من وجهك .. وخايف لا تسم جدي بعد
بلسانها والحين وش طاري عليك تاخذها وجدتي اللي ماتدري انك
خطبت ولا ملكت عشان تجلطها وتجيبيها قدامها!!!! انهبلت انت ما
انت قادر تصبر! اهجد خلها تنتبر عند اهلها كلها اسبوعين ثلاث
والا مسوين عرسكم وماخذها...

ليبتعد الذيب بضيق وهو يفك ازار الثوب العلوية بضيق : الليث
هرجك والله اللي ماخوذ خيره ولاني بناقصك خذ ابوي وتوكلوا
المدينة وامي لا حد يجيب لها طاري ؛ البنيت باخذ لها شقة ارتب
اموري ثم انا بنفسني لا جيت علمت امي والحين عجل وخذ ابوي
وتسهلوا..

عند كلمته كان والده قد وصل اليهم .. ونظراته الحارقة نحو الليث
وتجاهله منذ قليل له .. ليدفعه وهو يتحرك نحو سيارته.. ليلحق به
الذيب مقبلاً رأسه:

تكفي ياابوي لاتخذها بخاطرك والله ماجت على كيف.. تكفي الا
زعلك..

ليجييه ذاك بهدوء وهو مدرك مدى الورطة الذي تورط بها ابنه:
والله م بخاطري عليك الا الرضى يا الذيب .. الله يشرح صدرك
ويهدي سرك ويجمع بينكم على كل خير .. شرهتي على الهيس
الاربد اللي مايعرف سلوم الرجاجيل..

ليقترب منه المقصود مقهقهاً وهو يقبل رأسه : افا يا جدي تزعل

مني .. خذ بخاطرك من الدنيا كلها الا علي انا ترى ما اسوى شي
بدون رضاك ..

تجاهله وهو يصعد السيارة مغلقاً الباب من خلفه .. ليستعجله الذيب
بعينيه ان ينطلق .. وكأنه يخشى من شيء ما ان يحدث امام والده

..

لذلك تحرك صاعداً سيارته .. مُنطلقاً .. متوتراً يحاول اخفاء توتره
عن جده .. وهو يفتح المسجل على احدى اغاني سميرة توفيق
عابثاً وهو ينظر لجده السارح:

ايبييوه يا جدي .. تقول ماضيك من البيت للمسجد .. ومن المسجد
للبيت ما عندكم خنبة .. ولا سدحتكم غمزة وكحلة ..

يرى جده رافعاً عكازه ضارباً الجهاز بكل بساطة ليغلقه: يا وليدي
الظاهر عساف صادق يوم اقول انا ماربيت الا راهي .. والا انت
ما انت حول الرّبيّ " التربيّة " بشيء .. بس كانك ماتدري ترى
الرّبيّ مايكبر عليه احد .. والله لاعيد رباك من اول وجديد ..
ليضحك بلا حياة معلقاً : وهو صادق عساف .. تراه ما ربي الا
راهي .. والا انا الشوارع والسجون هي اللي ربتني .. والا ابخس
حق الذيب اللي لولاه بعد الله كاني ضايع ...

يصله تنهيدة جده المُتعبة .. وان ظنها لاجل عمه فقط فقد اخطأ ..
بل كانت لأجله وهو يُدرك ان ندوب الماضي التي تركتها قسوة
ابنه في حفيده لازال اثرها في قلبه ..

.

بدون ما يحاسبونك ؟

مو ابوي اللي تفجرت فيه سيارتك .. مو كنت ناوي تفجر نفسك و بزوجتك يالمريض بس ابوي اللي راح فيها .. والحين جاي ليش .. راجع لنااا ليبيبيه عشان تبلينا من جديد والا عشان تكفر عن ذنبك فيني ؟ تحسب اني بـ ارضى بك يـ وا قبل بك .. لا والله ما صدقت لو تذبحني ماصرت لك المرة اللي تمناها .. لا خليك تندم والله .. ما راح تغمض لك عين هاني .. لادمر حياتك وانهيها ..

سنيك اللي ضاعت بالسجن ولااااا شيء عند ايامك معي ..

قاطع هجوما ذاك .. ممسكاً باصبعها بقوة .. وهو ينظر الى شراسة عينيها ببرود:

اصبعك ذا .. لا عاد ترفعيه بوجهي لا أكسره .. حدي فيكن ومحمد احسن تربيتكن وما اظن امكن قصرت! عاد والله .. يا اني كنت جاي باقولك الامور ماهي غصيبة وان كانك ما انتي راضية فالطلاق لك متى ما بغيتيه .. لكن عقب كلامك ذا .. والله .. ما يقوم عوجتك غيري يا بنت محمد .. واني لعيد تربيتك من جديد ..

ضحكت .. وهي تبتعد عن مُحيطه تُخبره بصوتها المتوعد : خلك على قد الوعد يا ولد معتق .. وانتظرنى برى ترى لابسه عباياتي وجاية معك مالي لزمة بمكان م انت فيه يا زوجي ...

ورمت كلمتها الاخيرة تلك ك بصقة .. ادركها هو وأسرها في نفسه .. ليندفع خارجاً لوالده والليث حتى غادرا ..

تأملها وهي تخرج من المنزل بعباتها فقط وحقبة صغيرة ..
يرى والدتها التي تخرج خلفها راكضة وهي تشدها من يديها
تحاول ثنيها عن ذهابها معه .. تتبعا اختها راكضة .. ليصد حينها
خارجًا من ساحة المنزل لسيارته ينتظرها .. و لربما عدلت عن
ذهابها معها .. لكنه ادرك انها لن تفعلها وتعود بل ستأتي ولا يدري
مالذي سيتحمل من عواقب لقدمها معه ..

ارخى سمعه لصوت والدتها الراجي : يالمهرة تكفين لا تسودين
وجيها بالارض العالم وش تقول .. تقول زوجا بنتهم بيوم وليلة
كانها جايبة العيبة .. اجلسي لين يتم زواجه عليك ويشهره قدام الله
وخلقه .. لاتقهريني يا امك لا تقهريني ..

تعالى صوت بكاء والدتها .. وصوت فتاة محتقن بغضب :
عاه اجبك صياح امي كذا .. عاجبك .. خافي الله وارجعي ..
لاتقهرين امي زيادة .. ارجعي .. اللي يشوفك طائرة معه يقول
طائرة من حب .. حرام عليك قهرتينا ارجعي ..

ليأتيه صوتها الحاد الغاضب:

ايبييه وهو مو هامكم العالم وش بتقول ؟ ما فكرتي بهالعالم لا قالوا
بنت محمد تزوجت ذباح ابوهااا؟؟ ولا كل همك كيف تقهريني ..
انتي حلفتيني وانا حلفت اني م عاد اعصي لك شور ووافقت عليه
وتزوجته وشوري الحين عنده وهو ماخذني معه وش يجلسني ؟ مو
هذا الذيب اللي بديتيه على بنتك .. يلاا لا وصيك بنفسك انتي
وبنتك ..

ثم اعلى صوتها محادثة اخرى حاضره معهن : وانتي لا اوصيك
لاتخليبين ولا وحدة تعرفينها م تعلمينها .. قولي لها بنت عمتي
فاطمة تزوجت ذباح ابوهااا .. امهااا زوجته اياه عطية على طيب
فعوله .. لا تقصرين ..

ثم خرجت اليه تفتح الباب الامامي بكل قوة .. لترمي بحقيبتها
بالاسفل جوار ساقها .. لينحني .. يرفعها بهدوء وهو يرمي بها
بالخلف .. ثم ينطلق .. بعد ان سمع صرخات " الزين " من خلفهم
: حسبي الله ونعم الوكيل فيك .. كله منك .. كله منك ..

المدينة..

منزل ال معتق..

في الصلاة..

على غير العادة كن هادئات سارحات وقد ادركن بأن عمهن الوقور
قد ذهب لعقد قرانه.. بينما جدتهن والعمات يبحثن عن عروسن
محتملة له امامهن..

تنحي الجفول للجفول بجوراها:

والله محزننتي جدتي .. شوفي حماسها كيف وهي تدور عروس
حرموها متعة البحث و الاختيار والخطبة .. اوك صح خطبت
لاربعة قبله بس عاد الذيب غير واخر العنقود واكيد يستاهل عوض
غير مرررره..

تندفع نحوها بنة وهي الجالسة في الطرف الاخر من الجفول:
ايه وربي .. من اول مادريت وانا افكر علاقتهم صعبة صعبة مرة
ومستحيلة حتى لو عمي على كلامهم مظلوم اكيد البنت متشرية
فكرة انه قاتل ابوها .. وربي الموضوع مو سهل ابد لهم الاثنين ..
فكيف يجازف ويخطبها .. احس مو ظلم نفسه بس .. حتى هي
ظلمهاا .. وهي شلون توافق اصلا شلون تجيها نفس توافق .. الله
لايبلاناا .. بس اكثر شي مقهورة عليه عمي .. هي صغيرة وقدامها

الحياة واكيد بتتطلق اشك تكمل معاه حتى شهرين..
لتقاطعهما الجفول السارحة:

وليش حكمتوا على علاقتهم انها مستحيلة؟ تعلمون الغيب انتوا ..
ماتدرون الخيرة وين يابنات .. وماتدرون وش سر اختيار عمي لها
.. خلاص ادعوا ربي يوفقهم وييسر لهم امورهم .. ويمكن كل
واحد يكون علاج لجروح الثاني ما احد عانى كثرهم عمي انسجن
مظلوم و هي ابوها مات مقتول..

نظراتنا الاخنتين الى بعضهما بريية من سكونها .. لتسألها بنة:
وانتِ شفيك هادية كذا مو عوايدك .. ولا شايلة هم الثلاث اسابيع
الجايه ترى عادي ؛ الدبش سهالات شفت حساب كم مصممة
ملابس الزوارات عندهم تجنن بارسلها لك تشوفينها .. والباقي من
بكرا ننزل وناخذ فرة على السوق نلقي نظره وبعدها ننزل ونخلص
مره وحدة.. اهم شي فستان العرسّ خلينا نروح لـ تفصيل
عندها..

تؤيدها غلا بذات الأمر : اي والله سهالالات مره .. حتى الذيب
بارسل له شركة منسقة تتولى القاعة من الى .. مره ماراح نتفلسف
هم يتولونها ويريحونا .. بننزل معك ونخلص وبالمره نشوف لنا
بعد فساتين..

افلتت خصلتها التي كانت تتلاعب بها .. وهي ترفع رأسها تنظر
لل امام برود:

مافي عرسّ الحين .. تأجل بعد اربع شهور..
تقف دون انتظار لاعتراضاتهن .. تفر الى غرفتها مغلقة الباب
خلفها .. تجلس على السرير وهاتفها بين يديها .. تتأمل رسالته
اليتيمة التي طالما تمنتها .. لتأتيها اخيراً .. وتكسر كل الأمنيات
الوردية التي كانت تحملها..

تضحك بسخرية على امالها تشارك ضحكتها دمعة مخذولة .. و
هي تقرأ حروفه للمرة الألف منذ ان ارسلها..

(و البرنسيسة وش عندها مأجلة العرس اربع شهور ! بتقنعيني
انك بتتخرجين دكتورة .. ترى اقصاك طباخه..)

لتقرر اخيرا الرد على وقاحة اسلوبه .. بجميل كلامها..

.

لا تزعلني وتحكم اني زعول
وانت تدري مستحيل ازعل ، الا من بلا!

.

طريق بدر - المدينة..

حين حان وقت صلاة المغرب تنحى عن الطريق جانبا وهو يرى
ثلاثة من الشباب يستعدون لأداء الصلاة..
لينضم اليهم برفقة جده ؛ وهم يلحقون الجماعة معهم كي لا تفوت
وما ان سلم الامام حتى بات يذكر ربه بخفوت .. استقام للسلام
على الامام ومن معه قبل رحيلهم ؛ وبقي منتظرا جده ينهي اذكاره
وحصنه الذي يطيل عادة في اذكاره بتأني و استحضار قلبه..

استند على سيارته متاملاً بدايات الليل التي خيمت عليهم .. ليفتح هاتفه .. ينتبه لرسالة منذ دقائق منها ..
يفتحها على عجل وهو عيناه تتسع مع كل حرف كتبه ..

(" البرنسيسة الطباخة و اللي عادك ذكرتها توك .. ماهي رهن اشارتك و حاجتك ! ولا هي شي مركون مُهمل متى ماحبيت ترجع له وتلقاه مثل ماهو ماتغير .. دراستي اولى عندي من كل شيء ليت تحط هالمعلومة براسك .. وما اسمح لك تستهين فيني وبكياني و طموحي .. العرس بعد اربع شهور رضيت تمام .. ما رضيت ف انت ادري الناس انه " فامساك بمعروف او تسريح باحسان " .. والشور راجع لك ياولد عمي تونااا على البر... ")

ابتعد عن سيارته للامام .. وملامحه المتلعبة ب سعادة لقدرته على استفزازها هكذا .. يكتب بسرعة وهو يراها لاتزال متصل " انا قايلهم من يومك بزره هذي سموها الزعول .. وش انا قايل يوم تاكليني بقشوري ! طبخة خياطه كلها مهنة ولا انتي عندك التسميات اهم .. لو قايل الشيف ماكان زعلتي " ..

راى الصح الازرق .. ثم تجاهلها التام له .. ليكتب من جديد بعجل " السموحة يا بنت الحلال يا الشيخة بنت الشيخ .. والحين ممكن تعلميني ليه مأجله العرس غير سالفة الدراسة لانها مادخلت لي راس والله .. توك اول سنه وقدامك اربع سنين واربع شهور لا مغنية ولا مسمنة".

كانت لاتزال تكتب وعيناه تراقب جده الذي انتهى متجهًا للسيارة يستدعيه .. لينظر لحروفها التي وصلت اخيرًا " ببساطة م اعرفك .. كيف تبيني اخذ واحد ماعرفه .. م افهمه ؟ .. وبيوم وليله جاي هووباللااا بعد شهر العرس" ...

رفع حاجبه وهو يتمتم ب " هووووباللااا " .. بغيض ..
يفتح باب السيارة وهو يرسل لها نهاية حديثه " ماسك خط المدينة

الحين باسوق ولا تقولين طنشني يالزعول ولا وصلت نتفاهم"

ليتحرك اخيراً محادثاً جده مخففاً من ضغطه : ابيبييه يا جدي
ضاعت علوم الاوليين الغانمة ؛ يومك لا عقدت على البنية عطوك
اهلها اياها بعباتها ... ابيبييه .. ياتقلها على لساني بس بنت محمد
طلعت قرمة و هذا هي وفرت على عمي وقالت خذني بعباتي ..
وغيرها تشرط .. ماعرفك .. ما فهمك .. وتبيننا نتجوز ... ياعزتي
لي ... ماعاد به من الحريم صاحي

ليأتيه جواب جده ناسفاً : ابيبييه وانا جدك .. وانت صادق ورجال
اول رجال لاعقد الواحد منهم على مرته ماله غناة ولا صبر عنها
ياخذها من ليلتها لبيتها .. ماهو بمثل الحبيين يعقد على البنية ويعلقها
معه سنة سنة ونص سنتين .. ثم لاطاح اللي براسه جاء يولول خلو
عرسنا بعد اسبوعين ثلاث ابيبييه ياعزتي لك وانا جدك ماعاد باقي
من الرجاجيل صاحي...

لعن نفسه بداخله . هل اعتقد انه يفضفض للذيب ؟ ونسي ان جده
اكبر شبيحة الجفول .. ليصمت .. ويلزم الصمت جده بعد ان اخبره
" شغل لنا قرآن ؛ وخلصنا من هرجك اللي ماله صنع .. "

.

منذ صعودها للسيارة..

وقد كانت تمارس قدراً رهيباً من الصمت .. حتى ظن لو هله انها
ستنفوق به عليه .. لا يقطع صمتها ذاك الا صوت القرآن و
السديس ينشر السكينة على قلبه بتراتيله حتى تناسى وجوده معها..

تأمل احدى مساجد الطريق ليعي ان وقت الصلاة قد غارب على الخروج .. يتوجه اليه متوقفاً .. وهو يترجل من سيارته:
انتظري دقائق..

ليلقي بنظرة على دورة المياه النسائية بعد ان تاكد من خلوها بصوته .. ثم على قسم النساء ليتفاجيء بوجودها امامه هناك ؛ وقد شرعت في اداء صلاتها..

تنهد بضيق وهو يعود لـ قسم الرجال المخصص مؤدي صلاته.. ليخرج ويجدها تقف بجوار باب المسجد في انتظاره.. تحرك لتتبعه .. وهي تصعد بذات الصمت .. لينطلقا الى المدينة .. وقد سهى تفكيره مستوعباً صعوبة تركها في احدى الشقق او الفنادق ! فقبلته موقوته مثلها .. عليك ان تتوقع منها ما لا يتوقع .. ولن يستغرب ان عاد ليجدها فرت منه انتقاماً..

توقف بشكل مفاجئ.. وهو ينزل من سيارته .. مغلقاً الباب خلفه مبتعداً .. وهو يتصل بـ المنقذ الاول .. " الليث " الذي اجابه بـ ملل : نعم..

ليجيبه على عجلٍ بأمر : الليث وانا عمك .. عطني الملحق الخارجي اللي مجهزه لك انت والجفول ؛ وخذ جناحي الداخلي " .. يسمع غضب الليث الذي تفجر به : لااا يااااالشيخ .. مابقى الا هي ! ماخذ يوم عرسى والحين بتاخذ بيتي بعد .. مافيبويه تعبان فيه ومخسر لعيون الجفول واخرتها يصير لبننت محمد تهبى مابقى الا هي..

اخبره قبل ان يغلقه في وجهه ببرود : افتح لي القسم بدخل البننت فيه اليوم لين ما امي تدري وبعدها انتقل لجناحي.. يلتفت نحو السيارة .. متأملاً سكونها داخلها .. يحاول استيعاب اي الشخصيات يمكن ان تكون .. ولكن تلك القسوة التي ارتدتها وهي تودّع والدتها منفطرة القلب جعلت الانطباع الاول ان الحياة معها عبارة عن حمم من لهيبٍ ستحرقه..

عاد للسيارة .. ثم انطلق هذه المرة دون توقف...

المدينة..
منزل راضي..

على صوتِ المكنسة الكهربائية و ازعاجها كانت تتمدد تتابع التلفاز بين يديها صحن "حَب" .. وامامها ثلاجة شاي .. تصرخ بانزعاج على زوجة اخيها المستمرة بالتنظيف:

هيبيبه خلاص ووجع ! قلبتي راسي .. تشوفيني جالسة اتابع المسلسل تخربين علي ليش ولا ما حلالك الا يوم انا صحيت وش تسوين من اليوم ماغير الحش انتي واختك .. ولكن تلك استمرت بتجاهلها .. لتندفع اليها بانزعاج وهي تفصل سلك المكنسة: الاستغباء حقا هذا مو على راسي .. قلنا لك مو وقت كنس انقلعي شوفي لك شغله ثانية وحلي عني..

لتصرخ بها نوف بغضب على غير عاداتها اللامبالية:
انتي مصدقة نفسك اشتغل عندك ! تراه بيتي هاللي خلتيه مزبلة .. انتي اللي انقلعي غرفتك وتابعي فيها مو جاية بنص بيتي تتأمرين علي .. ما منك فايده ؛ بس زيادة عدد فالبيت انا اللي اطبخ وانظف .. وانتي ماشاء الله سهر بالليل ونوم بالنهار ولا مساعدة ولا شيء .. البيت اصحى الفجر والقاه قرف من الوساخة وطبخك اخر الليل .. اذا مو قد التنظيف لاتطبخين وتبلشيني .. واذا إنتي تتحملين الوساخة فانا م اتحملها ولا ابي اشوفها قدامي .. فهمتي؟؟؟

اتسعت عينا شيمه بدهشه وغضبها الاسود يتفجر وهي تدفعها بكل

غل : لاااا والله يـ .. اشوف طالع لك لسان الحين ؟ هالبيت بيتي
قبل لا يصير بيتك انت والسلق اللي ماخذته فاهمه وانتي ساكنه
عندي خدامة تخدميني وش فايدتك ؟ اصلا وش عندك غير الخدمة
..ان كان فيه خبيير خليه يطلعك بشقة لك لحالك ؛ لكن مايقدر
حافي ومنتف وطفران .. ومعيشكم عالية علي يـ....
اندفعت بغبن اليها ما ان سمعت اللفظة الوقحة التي اطلقتها وهي
تشد خصلاتها القصيرة:

انت انساااانة مريبيضة .. مريضة مو متربية بعد..
لتبادلها شيمه الفعل ذات وقد وجدت الفرصة اخيرا لضربها
والصراخ:

تمدين يدك علي اناااا .. لبييه من كنتي يـ.... اصلا انت مجرد
نكرة شي زايد على الوجود وبلانا الله فيك ... تحسبين اخوي يوم
خطبك ذايب بهواالك ؟ ي حلييك ... ماتدرين انه اخذك كيد لـ
الذيب..

لم تنتبه الى ان نواف قد استسلمت عن دفاعها وهي تنظر اليها
بصدمة و احساس يراودها بين حين واخر قد اكدته لها في لحظة
غضب متفجر .. لتقف عن ضربها منفعة الانفاس وهي تخبرها
بغل و متعة:

ايبيوه اشوفك تصنمتي .. مسويه ماتدرين ؟ مصدقة عمرك خذاك
حب وهيام .. تراااا مادري عن هوا دارك .. ولا فكر فيك ..
مشكلة صارت بينه وبين الذيب واستغلك فيبيها .. ومو اي استغلال
لااا .. استغلال على اصوله .. يا بنت الاصول ؛ ياللي راكضتي
على اول لاقط لك مصدقة انه يحبك .. وبعتي الذيب اللي مشتريك
... تدرين عاااااد اللي حبك من قلبه هو الذيب .. واللي اغلاك هو
الذيب .. و راضي ما غير ارضيتي نفسك له وبعتيها .. وهو
مادري عنك .. كذااا اخذك كيد وبلش فيك واستغلك .. ماتشوفين
حاله منقلب من خرجة الذيب؟ ليه وش سبايب قلبته فجأة .. وخوفه

.. مو لله .. هو ما سرقتك بس .. انتي شي م يندكر حتى من كثر ما
انتي رخيصة .. هو سرقتك عمر الذيب .. وسرقتك حياة محمد .. اللي
عايشة معه .. وجايه منه بدل الواحد اربع هو الارهابي الحقيقي ..
ماهو الذيب....

توقفت عن نفث سيمها بضربة مُجحفة انتها على رأسها بـ " عود
المكنسة " .. لترمي نوف بجسدها عليها وهي تصفعها الواحدة تلو
الآخري .. وقد كان لبنيتها الجسدية الهيمنة على ضعف جسد شيمه
.. ليرتفع صوت الصراخ والبكاء .. دون ان ينتبهها لذلك العائد
المنفعل لتزيديه اصوات الصراخ انفعالا .. وهو ينزل العقل من
رأسه .. هاجمًا على الاثنتين .. بلا رحمة..

.

وصل للمدينة عشاء..

يتأمل هدوءها بجواره حتى حين وصوله وادخاله السيارة لساحة
المنزل و ايقافها امام منزل الليث .. لم تعترض بشيء ؛ يتنفس
الصعداء ما ان وجد المفتاح على الباب .. وهو يخبرها:
انزلي..

لنتبعه بالصمت ذاته وهو يفتح الباب .. لم يدخل المنزل سابقًا ..
ولا يدري ما فيه حتى .. يشير لها ان تتقدمه..
لتفعل .. وهي تنزع النقاب عن وجهها .. تنظر للمكان الذي يبدو ان
احدهم قد غادره للتو بعد ان تولى تنظيفه و ترك البخور في الصلاة
.. وقعت عيناه على الطاولة .. وصينية الكعك وبعض الفطائر

تعلوها .. ولا تخلو من ثلاجة الشاي والقهوة ..
ابتسم مدركاً هي من صنّع من .. ليرمي بشماغه على الكنبه وهو
يجلس معيداً رأسه للوراء ؛ غير آبه بنظراتها الحارقة:
اجلسي وتقهوي وعيني من الله خير .. وارتاحي .. وريحي افكارك
وليت لو تستخرين بامرك مع امك لان تصرفك ماجاز لي .. ولا
هو اللي تربيتي عليه يابنت محمد ..
معاك من هنا للفجر .. المكان مكانك .. باجيك وقت الصلاة اخذك
ونروح الحرم .. واستخيري .. وعطيني علمك .. تبين اردك لامك
والزواج بعد شهر مثل ماكان اتفقانا او تبين تبقيين عندي ماهنا
مشكلة .. لكن الضعيفة امك لاتقهرينها زود قهرها ..
انا ماني معطي امي العلم انك هنا غير لا سمعت قرارك ان لك
رغبة تبقيين وان كان مالك رغبة ماله داعي احد يدري بك ..
والحين اخليك ..

ليقف مُتجهاً لحقيبتها المرمية ؛ يفتحها مخرجاً هاتفها منه .. وهو
يشير اليها بعينيه ان تفتحه ..
تأملها قليلاً .. ولا يزال حجبها ملتف حول رأسها .. والعناد
الواضح من نظراتها يستفز هدوءه .. تبقت لدقائق تنظر اليه
برفض ان تُمسك بالهاتف من بين يديه .. أيسايرها في انتظاره
حتى رفع الهاتف بشكل مفاجئ امام وجهها وعلى حين غرة ..
وقبل ان تصد .. كان قد وصل لمبتغاه وقد فُتح ..
سجل رقم هاتفه به واتصل ثم رمى بهاتفها دون اهتمام جانبا ليترك
المكان خارجاً من ولم يتبقى منه سوى " الشماغ .. "
تتأملها بنفور .. وعقلٍ يخطط لأول خطوات الانتقام ..

داخل المنزل ..

كانت تجلس في غرفتها بانتعاش و خجل ! يناقض بكاءها عصرًا ..
وهي تذكر تلك الرسائل القصيرة التي درأت بينهما وكان مقصده
منها واضحًا الاستفزاز ليس الا .. لينهي حديثه معها بتعذره
بالقيادة..

لكن ذلك لم يطل سوى نصف ساعة .. حتى ارسل لها من جديد
رسالة فحوهاها:

"عمي الذيب طلبني البيت قده توهق مع بنت محمد وانشبت له الا
تجي معه ! البيت بيتك انتي و الشور لك انتي .. ان قلتي لااا .. ف
هو لااا .. " (..)

لترسل سريعًا على نقيض صدمتها من ما حمله لها من خبر " (يفداه
ولا يغلى عليه) "

لتجده يكتب من جديد .. " (كفو زوجتي السنعة هذا العشم) .. "
انزعجت من غطرسته ولو ان حروفه لا تبت للغطرسة بصلة ..
الا ان اسلوبه المزعج عادة في احاديثه التي تعرفت عليها من
خلال " السناب " .. جعلتها تدرك انه قالها متفاخرًا بها وبانه قد
احسن الاختيار..

انتبهت لرسالته التي اردفها " (انا نص ساعة كذا وانا واصل باذن
الله باترك لك المفتاح على الباب وارسلك وقتها !ووو كملني جميلك
وسنعي المكان وبخريه لي اربع ايام عنه وتاكدي ان مالي شي
فالمكان ناسيه بغرفة المكتب هي اللي استخدمها من البيت ..
وروحي انت لحالك عمي مايبي احد يعرف واولهم خواتي ..) .. "
ضاقت من تأمره .. ولو انه كان صادقًا فلا يصح ان تدخل لمنزل
يعيش فيه الغبار .. او ان تجد مستلزمات شخصية لـ " الليث .. "
اجابته بـ " طيب .. "

ثم اتجهت للمطبخ الخاص بقسمهم والذي لا تستخدمه عادة .. تُعد
القهوة والشاي .. تطلب من العاملة ان تحضر لها من الكعك
والفطائر التي اعدتها سابقًا .. لترتب جميعه في صينه..

انتظرت حتى وصلتها رسالته .. لتجهز المبخرة معها.. وتنزل
بالصينية من الباب الخلفي .. المؤدي للمنزل الذي كان يفترض ان
عشَّاهما..

وجدت الباب موارب .. تدفعه بخفة .. لتدخل المكان وهي تنظر لما
حوله بفضول .. تُدرك الذوق الرفيع له على نقيض ما توقعت ..
تتجه نحو الصالة لتضع الذي بين يديها على الطاولة.. وهي تُمسك
بالمبخرة تدور فيها بالمكان .. وعيناها تراقب بشي من " حسرة "
فالمكان قد اعجبها جدًا .. تتمم داخل نفسها " عادي .. السعة
بالقلب والسعادة بالقلب وش فايدة بيت حلو وانسان بارد مثل الثلج
"

..
اعادت المبخرة امامها وهي تتجه للابواب بفضول .. تفتح الباب
تلو الاخر وهي تدفع شعور الانزعاج من داخلها .. حتى فتحت
باب المكتب اخيرًا واندفعت لداخله تبحث عن اشياء ممكن ان
تخصه .. دارت حول المكان بعد ان ادركت ان هذا هو معتزله
الذي يقصده و يصور فيه " السنايات .. "

:الله طلع مب هيبين المحامي مسوي له صومعة يستكن فيها..
هتفت بذلك .. وهي تحمل اللوحة الزجاجية التي تحمل اسمه .. فلم
تجد مايخصه سواه .. حتى حين التفتت .. شهقت بفرع .. وهي
تراه امامها متجسدًا .. بكامل اناقته..

ومن سوء حظها .. انها لاترتدي سوي " بيجامه " كرتونية
برسومات ديزني .. وخصلات شعرها مُثبتة في اعلاه بفوضوية
تشابه فوضى مشاعرها نحوه..

لكنها لو كانت تفهم لغة العيون .. لادركت مدى تأثير هذا المظهر
الفوضوي على مُرهف المشاعر الذي يقف امامها كالجدار الصلب
.. بينما دواخله تنصهر رغبة بعذب وصالها وشامتتها تُودي بعقله

..

كادت ان تفرَّ هاربه .. الا انه لم يسمح لها وهو يمسك بذراعها:

دقيبيبيقة .. ما راح اخذ من وقتك الا دقيقة .. وبعدها روعي اصلا
عمي وراي مابقى له شيء ويوصل بس ابيك تفهمين شيء واحد ؛
انا رجال شاريك وو اللي عندي وادري به امسك بمعروف
واحسان ؛ التسريح ذا ماهو عندي .. تبين تعرفيني و تفهميني
؟ماعندي مانع ، انا واضح اساليني عن اي شي وأجاوبك عليه و
انتي عندي كتاب مفتوح ما اجهل من خفياك شيء ؛ لكنه حقا م
امنحك ..

نظر لساعته متوترا .. وهو يرى ارتجافها الجفول منه:
ثم عاد انا ودي اعيش العمر كله مع شامة هالنحر ..
عقدت حاجبيها ب عدم فهم .. لينحني مباغتا .. تاركا فباته على ما
يُجن لاجله ويخصه فيها .. تندفع جافلة للخلف منه .. وعيناه
لازالت تراقب شامتها: ..
جفولي ؟ تعرفين لا قالوا الهروب نص الشجاعة .. انا انصحك
تاخذين هالنص وتشردين .. وانا باخذ النص الثاني والحقك .. لا
يطب علينا عمي " ..

لتركض من امامه .. ولايزال اسمه بين يديها تحتضنه .. يلحق بها
متباطئا حتى خرج من المكان متوجها للنوم في منزلهم .. ما ان
وصل اليه حتى رأى سيارة عمه تدلف من البوابة .. ليهمس :
ايبيبييه ياعزتي لي .. تنبسط مع العوبا ياعم وانا اللي لقمتمها اربع
شهور قدام ... الله يرزقنا الصبر بس وام شامة تلين لي وتروف
بي ..

سرقني غرامه سرقت السارق المزاح
نهب ما لقي بين الضلوع وقطع عرقه

·
·

دخل أخيراً للمنزل..

ليجد والدته وأخواته وبناتهن في ذات الجلسة .. يشاركنهن زوجات أخوته .. التي غادرن م ان سمعن صوته للصلاة الأخرى..
ليذهب بشكل راميًا بجسده امام قدمي والدته متناولاً كفيها بين يديها
يغرقها بالقبل:

افدااا هالكف المحنى وافدااا ريحته .. اشتقتك الله لا يخليني..
ضمت رأسه الى حجرها وهي تربت عليه ك طفل في مداعباته:
جعل يومي قبل يومك يا امك .. من رجعت وانا لا غبت عني
ساعة تضايقت واستبطينك ولو الود ودي وان المشاريه ماتلحقتني
ويقولون نورة استخفت تالي العمر كان لاقفلت عليك عندي
ماتخرج الا للصلاة مع ابوك وترجع لي .. ما ودي ان الدنيا
توذيبي فيك وتفهرك اكثر..

ضحك منشراحاً على والدته التي لاتزال تراه ذلك الطفل الذي
سينال العقاب ان خرج دون استئذان او في وقت لا يصح الخروج
فيه ؛ ليس وكأنه ابن الثامنة والثلاثين .. لكنها حقاً اثبتت له .. ان
من اعتاد القلق ظن ان الطمأنينة كمين ؛ فحتى مع عودته لها
لاتزال في رهاب وخوف من ان تفقده من جديد فجأة ! فلا قلب ولا
طاقة لها تحمل قوة الفقد اكثر..

يسمعها تسترسل في حديثها .. : ماغير الهي نفسي مع خواتك ومن
اصبحنا وحننا في سيرتك ودنا نفرح فيك ياكثر البنيات اللي

رشحنهن خواتك .. وانت ان كان ودك ترى اقصرانا وجماعتنا
بيوتهن فيها من البنيت اللي يهول .. انت بس اختار وانا امك ..
وتبشر لاروح لها لو انها في المريخ اللي يطرونه لاروح لها
خطابة ..

تنهد وهو يعتدل في جلسته امامها لقد باغنته سريعًا .. ابتعد للجلوس
على احدى الكنبات .. يرتب شعره بانزعاج صامت .. واخواته
يقترحن عليه بعض اسماء الاهالي الذي يعرفن ويعرفهم هو ..
تناوله بنة فنجان القهوة وهي وغلا الوحيدات المدركات ما به من
ورطة .. لكن الورطة اختصرت الأمر .. وهي تدلف من الباب
بثقة .. لاتزال ترتدي عبائتها واستراح حجابها على كتفيها وقد
حررت خصلات شعرها لتتبعها:

الله ! الواحد مايمديه يتهنى ما مدانا عقدنا جف حبره الا وانتم تبون
تخطبون له .. قولوا لا اله الا الله .. ما هقيت ان ودكن تهدمن بيت
وحدة توه ما ابنتى عشا .. ولااا آه ! لا يكون زوجي ما علمكن ؟

..

نظرت اليه بقوة .. دون ان تكترث بالجنون الذي اكتساه للمرة
الاولى منذ خروجه:

افاااااا .. تدس عن امك ياالذيب ؟ ماتبيها تفرح ..وانت اخيرًا
تلاحقت عمرك واعرست وعلى مين بعد .. علي انااا شيخة البنات
كلهم ..

يراها تتقدم من والدته المصدومة .. وهي تُسلم عليها تُقبل جبينها ثم
تبتعد:

اكيد نسيتي ملامحي ياخاله .. السنين تنسي ولا .. اخبر قلتيها لامي
يوم عزيتها السنين تنسيك .. بس انا مانسيتك ياخالتي ام عبدالله ..
المهرة بنت محمد .. وزوجة ولدك الذيب .. ذباح ابوي ..

لو ان اريش العين يرحم وبالحال رايف
ماكان دمعي نزل من عيني ولا جرا مآه
الفصل السادس..

وأصلّ لـ آخر محطات مختل الشعور
يوم صبري صد عني وبانت خلته

صرت ماحب التواجد ولا احب الظهور
خاطري ما عرف علاجه وأنا اعرف علتة.

جبل اللوز - تبوك..
السادسة مساءً..

وحيداً هادياً و مُنعزلاً..

في منأى عن الناس ؛ يتأمل حُلة البياض التي تكتسي بها الأرض
امامه بينما يجلس مستندًا على المركى وناره التي اوقدها ببعض
الحطب يتراقص لهيبتها منعكسًا في عينيه .. يخرج يده من الفروة
التي احاط بها جسده.. وهو يمدّها بالقرب من النار امامه .. تضيق
أنفاسه مع قُرب رحيل الشمس . . و وجوب عودته الى الديار
الليلة..

حينما وجب وقت الصلاة .. أذن لها .. ثم صلى..
وما ان انتهائها حتى ردد اذكاره وهو ينحني لحمل ما تبقى من
حاجياته واعادتها للسيارة .. صعد اليها .. ثم انطلق في ظلمة الليل
وبين وعورة الجبال التي يحفظها .. عائداً للمدينة فقد اطال الغياب
و انتهت اجازته..

أمسك هاتفه ما ان استوى بسيارته على طريق المدينة .. ليفتحه بعد
ان كان مُغلقًا لاسبوعين.. انهالت عليه الرسائل بشكل قد اعتاده ..
ليفتح على الواتساب .. متجهًا على رسائل الأهم - ف المهم..
فتح رسالة والده المبشرة باختصار : ياولد البشارة ؛ عمك الذيب
رجع..

توالت بعد ذلك رسائل اخواته و ابناء عمه .. ليجد اكثر الرسائل
من صغيرته " غلا " .. وهي تُمطر عليه بتفاصيل التفاصيل بشكل
يومي دون كلل .. تسأله كل يوم عن حاله كيف يكون مع علمها
التام انه لن يجيب عليها الا حين تنتهي اجازته لكنها تُصر اشد
الاصرار على مراسلته بشكل يومي واعطاءه التفاصيل المهمة..
ويبدو ان غيابها صادف الكثير من الاحداث التي خبأتها لخبارها به
.. ليقراها بترتيب وهدوء..

"راهي أشتقناك بالحيل ؛ متى تترك طبعك وتفتح جوالك لا
سافرت ؟"

"كيفك اليوم ؟ م عندك نية ترجع .. احنا طيبين كلنااااا ومنتظرك "

عندنا ؛ وم ينفع نعامله معامله طفل كل مره يغيب فيها..

مسحت تلك ادمعها .. وصوتها يختنق من بكائه : والله مقدر ..
مقدر.. مقهورة من نفسي ليش ابكي كل مره اسمع صوته وهو بعيد
.. بس ما اقدر .. اخاف ينعاد الحادث ماني مستعدة احس راهي
بالذات اي لحظة راح نفقه..

تعودت بفزع من شعورها .. وبنة تصرخ هلعًا .. : اعوذ بالله وش
هالكلام غلاا ! اعوذ بالله بسم الله عليه ربي يحفظه من كل شر ولا
يورينا فيه مكروه لا هو ولا الليث .. ترى كلامك هذا كله من
الشیطان مستغل ضعفك وخوفك ويخليك تفكرين كذا..
تردّف الاخرى بشيء من فضفضة: نفسي اقوي قلبي وانسى ذيك
الأيام كلها بس مو قادرة ؛ الله يقهرهاا هي واهلها مثل ماقهروا
اخوي .. حسبي الله..

تجلس بجوارها بنة تحتضنها بحنان .. : غلاا ؛ قبل فترة قریت
تعريدة لـ شخص يقول "لولا الظروف السيئة اللي بتمر فيها كنت
هتفضل مفكر إن كل اللي حواليك سند.. "
وذكرت راهي ! .. تخيلي لو ما صار له اللي صار .. كان بيبقى كل
عمره عايش معها ومنغش فيها وهي اصلها ردي انانية مايهما الا
نفسها ؛ دايم اقول الحمد لله انه طلقها وافتك وربي ما كتب يكون
بينهم عيال يضيعون والله اخوي مافي مثله يستاهل كل شي جميل
يقابله وهذي شرّ وانصرف عنه..

فُتح الباب بعد طرقتين وقد اذنت بنة التي تعرف هوية الطارق ؛
لتدلف الجفول وهي تتاملهما معًا على ذلك الحال وملاحها تتبدل

للْفزع : شفبيبيكم ؟ ليش غلا تبكي..

اجابتها بنة : كالعادة كلمت راهي..

تبتسم ملامحها وهي تجلس امامها : بيبوه الحمد لله على سلامة

رجعته ووين كان هالمره ؟ هنا ولا برا..
كفكفت دموعها غلا وهي تتولى اجابتها : هناا .. بتبوك .. والحين
راجع الله يوصله بالسلامة..

هتفت لها بنة بشيء من حماس ازال كآبة الجو : انت وبيبتك من
اليوم ! فات عليك الاكشن اللي صار تحت ودخلت العروس !!
تخلي عمي طلع مملك عليها وجاليها معه لا وبعد ابشرك مجلسها
ببيتك .. بس جدي قال خل بيت الليث لليث ؛ وانت ارقى جناحك
معها..

قوية يابنت اكلتنا بقشورنا .. للحين صدمة جدتي نورة محزنتني
وربي لخمتهما وهي تذكرها بكلامها..

قاطعتها غلا بضيق : وين القوة ؟ ماغير قلة الذوق والعوابة
.. اسلوبها مع جدتي ما حبيته حتى لو جدي جاء ورقع الموضوع
واضح الانسان اللي شايل بقلبه وحالف ينكد .. مسكين عمي والله..
تساءلت الجفول باهتمام : ليه وش صار تحديداً..
اعتدلت بنة في جلستها وهي تتحدث باهتمام و سرعة .. : قوليني
وش م صار انتي .. جاء عمي من برا وركض طاح عن رجل
جدتي ويحب يدينها تعرفين واضح اللي مسوي له شيء ويبي يمهد
.. بس جدتي ما عطته مجال على طول قالت له انا واخواتك من
اليوم ندور لك عروس ؛ احسه من اللخمة " الصدمة " سكت
وتورط .. وجلس يستمع لها ويستمتع لعماتي وهم يرشحون له
البنات ؛ والله اشوفه يتقهوى وباين عليه محتار كيف يقول ويعلم ..
تخلي فجأة كذا الوضع كل وحدة تتكلم وكل وحده تدلو بدلوها بيون
يزوجنه ! الا هذيك فاتحة الباب وداخله

تقول الواحد ما يمديه يتهنى وما مدانا عقدا جف حبره تبون
تخطبون له .. وتهدمون بيتي وهو توه .. ولا زوجي م علمكن!
واضح واضح علييها قوية .. اذكرها يوم بزر تجينا شخصيتها مو

مثل اختها واليوم تأكدت ولا علييها بأحد

ثم اردفت وهي تقف مكانها مُقلدة المهرة بنبرتها المتلعبة : انتي
لو شفتيها يوم لفتّ على عمي ! تقول له افاااa

والاي تقهر على انها عجبتني شخصيتها مدري وش عاجبني فيها
بس عجبتني قوية ما عليها..

استنكرت غلا بغضب : سلامات وش معجبك فيها ! تقهر ووقحة
.. ومالها قبول عندي خلاص اخذت موقف منها..
وكله كوم وهي تقول انا زوجة الذيب ذباح ابوي .. داخله بشرها ..
ماتبينه ليش وافقتي ولا موافقة عشان تنتقم .. مريضة ..
عادت بنة للجلوس وهي تحلل الأمر : شوفوا انا للحين ماني لاقية
سبب لـ موافقتها مرره يعني واحد له دخل بموت ابوي حتى لو
مو هو السبب والله مستحيل اوافق روعي تنفر منه غصب .. حتى
لو انتقام بـ اوكل امري لله يتولاه لكن ارتبط فيه ولا سمح الله اجيب
منه عيال و يصير ابو عيالي قاتل ابوي .. بييمه اعوذ بالله حتى
التفكير فيه مزعج..

شعرت بضربة خفيفة على كتفها وغلا الحانقة منهااا : انتي وش
فيك واقفة بصفها ومحسستني ان عمي له ذنب .. انا اصدق راهي
وراهي قال عمي مظلوم وخلص..

تدخلت حينها ثالثتهن بقولها : و مظلوم ؟ هي وش يدريها عن انه
مظلوم اذا ما جاها بادله وبراهين تثبت الموضوع مو هين واذا
عمي ضحية فد ابوها بعد ضحية .. لا احد يلومها على التفكير
السيء او اي شي تسويه دامها متشربه هالفكرة وعمي دامه على

البر معها المفروض يصارحها بكل شيء .. حتى لو كان له دخل
وتغرر فيه المصارحة اهم شي ولا لا احد يجي ويلومها على اللي
تسويه بالعقل بنات بعيدًا عن عاطفتنا وانه عمنا اللي نحبَ حطوا
نفسكم مكانها وبتعرفون شعورها كيف...

لم يُعلق احد على كلامها وكلهن ادراكَ بصحته .. لتكمل هي :
وايبيه .. كيف ترقع الموضوع بعدين...

قفزت بنة بحماسها المُعتاد وهي تتولى الوصف من قلبها : وبعدين
يا طويلة العمر والسلامة.....

.

قبل ساعة..

ما ان رمت بُقبلتها أمامهن حتى عادت بخطواتها لتجلس بجواره ؛
تضع رجلًا على الاخرى .. وكأنها تُثبت مكانتها في حياته ..
ليندفع ما ان رأى ملامح الخذلان تعلو وجه والدته .. يمسك بكفها
برجاء : يمه اسمعيني..

تسحب يدها من بين يديه بقوه ؛ وهي تتحرك بصمت الى غرفتها
.. لكن صوت والده الذي جاء من خلفه كان مُنقذًا وهو يقول:
يا ام عبدالله .. تعالي .. والله انه ما عصاني ولا طلع لي عن شور
؛ انا اللي شرّرت وانا اللي اخترت انه يعقد عليها ويجيبها ولا
يعلمك..

التفتت بصدمة اكبر .. وهي تهمس بـ نبرة باكية : انت يا أبو
عبدالله.. انت .. ماكفانا اللي جانا من محمد حتى تجيب له بنته

وهي تشوف ولدك ذباح ابوهااا...

اقترب .. منها .. ولا تُهون عليه نبرة الخذلان في صوتها ممسكاً
بكفها بين يديه : يا ام عبدالله .. انا قائل لك البيت اللي يشاور عليه
ولذلك تدقينه خطابة وقلتي ابشر و سم والحين ولدك اعرس عليها
وان شاء الله ربي يعمر بيته .. شاورني وانا رضيتها له وقلت له
اقدام وانت تمت الامور بشر امك .. والبنية ماغدت بنت محمد بس
؛ غدت بنتي بعد و زوجة اقرب عيالي .. وانا تحبين كل ما يحبه
الذيب ويوده ولا يا نورة..

تفهم زوجها تمامًا بحق كل تلك السنين التي قضتها معه وتفهم انه م
اختصها ب نورة الا لرغبته ان تتفهم الأمر وتصمت الآن..
لكن حرارة الامومة التي اشتعلت بها ابنت ان تتخاذل ؛ وهي تعيد
نظراتها للدخيلة امامها التي رفعت حجابها ع راسها ما ان جاء
زوجها:

قلتي اني نسيتم مير ما من نسيان يا بنت محمد كيف انسى من هم
سبايب وجعتي بوليدي ؟ تقولين الذيب هو ذباح ابوتس وانا ابخص
الناس فيه ؛ والله انصفه من امتس نفسها ما علمتس بمجيبها لي
تطلب السموحة .. ان كانه على ما قيل ذابحن لها زوج .. تجي يمي
وتطلبني السماح ليه ؟

مير بالعلوم علوم مخفيتها عننتس وعن اختس .. وانا عارفتن انه
الذيب شايل وساكت عشانتسن وعشان غلاة ابوتس عنده .. لكن
والله يا بنت محمد ؛ ومحمد رسول الله ان عادك اوجعتي لي وليدي
مانيب مسامحتس .. وان كان شلتيه وقدرتية وخزيتي ابليستس
فحياتس الله اشيلتس على راسي بعد ؛ وهذا اخره ما عندي...

ثم نفضت يديها من يدي زوجها الواقف بصمت .. محترمًا حقها
في انفجارها الامومي ذاك ليقترب من الغريبة التي كانت تنظر

اليهم بهدوء .. تستقيم بأدب مخالف عن طباعها ما ان رأت اقترابه
؛ لتري يده الممدودة للسلام..
سلمت عليه ثم ابتعدت .. وهي تسمع آخر كلماته يرمي بها لزوجها
الساكنِ سكون البحر قبل العاصفة: ..
ياولدي ماله داعي تاخذ جناح الليث ؛ خذ مرتك وارقي جناحك ..
وخل جناح الليث لليث..
لـيومي هو برأسه .. مُمسكًا بِ ذراع المهرة الجامحة.. مُندفعًا
للاعلى بِ سواد غضبه ؛ تحت انظار الجماهير المتفرجة من
اخواته و البقية...

فتحَ باب جناحه الخاص .. ليدفعها امامه..
يراها تتبختر بمشيتها غير مُكرثة بما فعلته بالأسفل..
تنزع عبائها عنها وهي ترمي بها بمل على الكرسي امامها تلتفت
نحوه وملامح الاستفزاز تتراقص على وجهها..
ليقترب بخطواتٍ تشابه اسمه ؛ افزعتها لولا ان ملامحها ابت
الرضوخ وهي تنظر الى عينيه بُتحد سافر .. تراه يحيط ذراعي
الكرسي الذي تجلسه بذراعه منحياً .. نافثاً غضبه في ملامحها:
اسمعيني عاد .. والله العظيم يا المهرة .. تعيدني اللي سويتيه مره
ثانية تحتَ والله .. لا اطير فيك لديرة ماتعرفين فيها بني ادم
وحريمتك الطلاق ! لاخليك تقضين باقي حياتك ماينعرف لك ارض
من سما .. واندملك على الساعة اللي تحديتني فيها .. لعانتك ذي
تبين تسوينها .. سويها معي أنا .. امي وابوي خط أحمررر ومو
بس هم اهلي كلهم ! لو سمعت بيوم انك غلطانه على أحد ما راح
يندم الا انتي تري .. كل شي اعديه الا اهلي ... دام مخك متناك
ومو راضية تشوفين الحقايق خذيها على بلاطة..
انا ما قتلت ابوك !! كانك تعرفيني زين وتعرفين ابوك بتعرفين ان
اخر واحد ممكن يأذي صديق عمره هو انا..

اناااا وابوك ضحية غدرة من واحد يومه غدى قريب .. ابوك انغدر
به ومات عسى الله يرحمه و يغفر له وانتم امانته عندي ؛ وانا
ضحية ثقة اعطيتها لواحد ما يستاهلها وماتوقعت ان الحقد بقلب
الانسان يوصل لكذا اصلا جيبي دليل واحد ان لي بقتل ابوك يد؟
مافيه دليل الا السيارة اللي مات فيها ابوك لي .. والباقي ؟ وينه ..
مافيه .. وكلها مدبرة .. لكن ان عرفت مصلحته من سجني عجزت
للحين اعرف مصلحته من قتلة ابوك..

هذا اخر ما عندي يا بنت محمد .. صدقتيه هلا بك .. ما صدقتيه
خليك كذا عايشة بشكك وبحقدك عادي ماوراي شي ؛ ما وري اللي
ضاع من عمري يعني .. ولاهمني..

اندفعت بجنونها حينما شعرت بخطر كلامه ونبرته:
تبري نفسك !!! لو مظلوم وبريء ليش كل هالسنين مرمي
بالسجون ليش كان طلعت ع طول مو ساجنينك من فراغ .. لا
تكذب علي وتحسب اني بصدقك..

رفع اصبعه مُشيرًا اليها بتهديد : صوتك لا يعلى!
العلم لو تبينه ف هو كله عند امك .. وهي ادري الناس فيه وانا ماني
بقايل امور هي دفنتها عنك ودستها .. اللي يخصني قلته لك ؛ انا
مالي يد بموتة ابوك .. انغدر بي مثل ما انغدر به..

اقتربت منه وهي تهتف بعناد في وجهه : الا بارفع صوتي ..
وباجننك واخليك تندم ! تحسبني غبية اصدقك حتى عمي راضي
اقرب واحد لك انت وابوي شهد عليك !!! وزوجتك وابوها ..كلهم
كذابين يعني... وانت صادق سبحاااان الله..

قاطعتها ضحكة مجنونة صدرت منه .. وهو يمسح وجهه بكفه ..
يتمتم ضاغطاً على اضراسه بغيض : عمي راضي .. عمي
راضي..

لتصمت بـ فزع م ان انفجر صارخاً في وجهها مُفجراً بركان
غضبه : اي والله سبحااان الله .. سبحانه .. ما شهد علي الا
رااضي .. اللي ضاقت عليه الارض بما وسعت من حريم وما لقي
الا اللي كانت زوجتي واخذهااا .. واللي سبحااان الله هي بعد
شهدت علي !!! وشهدوااا وش قالو ا؟ علميني وش قالوااا؟؟
راضي اللي كان يعطيني فلوسه و يطلبني احولها من حسابي
لحسابات مشبووه وانا الاهل الغبي اللي ثقتي فيبيه دمرتني
وجدهاا وجدد كلامي وقال الذيب كان يتسلف مني وشهدَ على
كلامه مجموعة شافوه يعطيني فلوسه بظرف .. مع اني ماني
بحاجة طلايب ولا سلفه.. لكن قالوها لي مليون مرة القانون ما
يحمي مغفل..

و لاااا ذيك اللي استغلها ولعب عليها وهي على ذمتي وحليلتي
وماقدر ولا انتخى وخلاها تشهدَ اني اصريت اخلي سيارتي
فالمطار ؛ مع انه سيارتي مفتاحها كان مع ابوك قبل اسافر ولا
دريت انه لاحقني المطار من اساسه..

تأملته انفعاله بصمت ونبضاتها ترتجف وهي ترى جنونه يعتريه
امامها هكذا .. وقد شارك ذلك الجنون دماء حارة نزلت من انفه ..
لتشير اليه بفزع : دم .. دم...

رفع كفه الى انفه يغطيه مُلتفتاً عنها يوليها ظهره رامياً بما تبقى من
كلام:

هذااااا اخرر ما عندي يا بنت محمد .. ولا عاد انا مبرر بعدها ولا
قايل شي والحين انخمي " نامي " ولا اشوف وجهك قدامي
صاحيه لارجعت..

ثم اندفع خارجاً من الجناح .. تاركاً اياها وحده مع قنابله التي
فجرها في داخلها ؛ وهي ترمي بجسدها على الكرسي تتأمل
بصمت .. وعقلها يفكر .. يحلل .. و يربط..

"ما دام الأرض تحمل خلق ربي والفجوج وسّاع
وراها ضاقت البارح على صدري رحايبها؟"

·
·

الثانية والنصف ليلاً ؛ الساحة الخارجية..
يجلس مستنداً على جذع النخلة من وراءه يشرب كأس الشاي
الخامس ع التوالي .. يحاول ان يهدء من غضبه الذي تفجر من
ذكرها للعين ذاك .. دون جدوى ..
يتأمل السكون من حوله و قمر منتصف الشهر ينيره ؛ ينتبه للبوابة
التي فتحت و سيارة اقدمهم تتوسط المكان .. ليدرك هويته ما ان
رأى العصى الخشبية ترتكز على الارض قبل نزوله .. ليتبعها
بجسده الشامخ رغم ميلات الزمان به .. ابتسم بحنين ؛ وهو يراقب
هدوءه وسكون حركاته على الرغم من صعوبتها .. يراهن نفسه
على انه سينتبه لوجوده دون ان يتحرك..
ليضحك واقفاً ما ان رأى عيناه التي التقطه على بعد .. وابتسامته
تتسع..

لم ينتظر قدومه اليه .. بل اندفع نحوه .. يأخذه في عناقٍ مشتاق:
هلاااا والله .. هلاااا .. والله يا ان ربي مرسلك لي جيت بوقتك يا
الراهي..

شعرَ به ؛ يقبل كتفه ب احترام:
اعذرني يا عمي ؛ ماجيت من بدري ؛ عارفٍ بخبال الليث وحفلته
واللي مسويه وانت تدري مالي بملاقى الناس حاجة..
لم يهتم .. وهو يمسكُ به مستغلاً وجوده الذي يحتاج يشير اليه نحو
الجلسة التي كان يحتلها: ..
والله ان تقهوى معي .. برادي حار وعلى جمرته .. يكفيك وانا
عمك .. مشتاق لعلومك..

تبعه دون اعتراض ؛ على الرغم من تعبته وحاجته الملحة
للاستحمام بالماء الدافئ ليرخي اعصاب قدمه .. الا انه شعر
بحاجته لمثل هذا اللقاء الهادئ مع عمه الاقرب وصديقه الوحيد..
جلس ممدًا ساقه المتضررة امامه و الذيب يمدده بالكأس ليأخذه ..
يسمع اسئلته عن مكان تواجده ليجيبه .. تأخذه الاحاديث معه دون
توقف او ملل .. حتى تداعى بعض الخبث في صوته وهو يرمي بـ
كلماته للذيب:

وماشاء الله يا عمي ؛ يقولون ضربت اثنين بواحد خارج من السجن
واعرست..

ضحكٌ ما ان عبست ملامح الذيب وقد تذكر ما حاول نسيانه ..
ليسمعه جوابه المتذمر : اهبن لحقن يعلمناك .. نسيت ما انت الليث
ماياخذ منهن لا حق ولا باطل انت هن يجن ويهلن علومهن عندك

..

تناول ابريق الشاي وهو يعيد سكبته في كأسه : خلنا منهن .. هو
صحيح يا عمي خذيت بنت محمد .. ليش الوجع ؛ وليش تفتح في
دفاتر الماضي .. خلاص .. شيء راح وانتهى..
اجابه وهو يتمدد ارضا مستندًا على المركي وراءه:

بعض الأمور حمولها ثقال يابناخي .. ما اقول الا الله يرحمك يا محمد ..

التقط الامور فوراً .. يُيرد ف : وانت خير من يحمل الامور الثقال ياعمي .. لكن العرس ؛ ليتك ما استعجلت فيه .. او انتظرت لين ما تفسر لها الامور ..

هز رأسه متندماً .. : مُشكلتني اني كل ما بريت نفسي من الموضوع تورط محمد أكثر .. وانا ودي ان الامور تندفن ولا عاد تذكر .. وهي ما قصرت من اولها استفزتني و هليت علم راضي كله .. لكن .. احس اني كل ما بريت نفسي ورطت محمد أكثر ؛ وانا ما بيها تدري ..

لُيرد ف راهي ب حنية : ماورطت احد هو راح الله يرحمه و يغفر له وش بتورطه فيه ؟ ليتك تصير اناني لمره .. ضحك .. متأملاً نجوم الليل اللامعة بشرود : هالكلام اتقبله من الليث ايه ؟ اما انت .. لا اااا .. كلهم يقولون الليث طالع مطاليعي عشان غلاته .. وانا اقول ما طلع لي من هالناس كلهم الا انت .. وانت اكثر شخص فاهمني ..

ثم التفت اليه وقد لمعت برأسه فكره:

راهي وانا عمك .. ما ودك بالزواج ... عندي العروس .. ليعيد ذاك كأسه مكانه .. وهو يعرف هوية العروس المقصودة مسبقاً:

ولا لك لوا .. مالي بالزواج حاجة اولاً .. وثانياً لو ما بقى من البنيت الا اللي تقصدها ما خذتها ! لان كانك مجبور تتحمل امانة واحد ضيع حياتك .. فانا ماني بمجبور اخذ بنت واحد اشوفه دمرك .. ان انت رضيتها لنفسك ؛ انا ما ارضاها لي .. ومثل ما حميتك لمحمد ف انا حميتي لك ؛ ولو طلع محمد من قبره يستسمح مني على سواته فيك ما سامحته .. انا اشبهك بالطبايع ايه .. لكن الفرق انك انت استنفذت كل الشهامة وما بقيت لي باقي .. ولا لو علي انا ..

كان جبت بنات محمدَ و علمتهن الحقيقة وسجنت امهن الساكنة
عنها..

تعديل في جلسته الذيب فجأة وقد انتبه لخطوات القادم لهم من بعيد
ليردف : اص قفل الموضوع ؛ الليث لو درى عن سالفه امهن
ماراح يسكت .. اص..

التفت للجهة الاخرى يرى قدوم اخيه وخصلات شعره الكثيفة
الناعمة مُشعثة فوق رأسه .. يسمع صوته التخين الناعس يرمي
بالسلام ؛ لينحي اليه مُسلماً كما ينبغي..

ثم جلس بينه وبين الذيب وهو يتناول كأس الذيب يرمي بما تبقى به
من الشاي جانباً .. ليسكب به من جديد ويتناوله .. رفع حاجبه
مرتأباً بسخرية:

علامكم سكتوا يوم جيت ؟ كان بينكم امور خاصة مشيت.
ليردف راهي : ابد ؛ كنت ابارك للعريس بعرسه .. وشره عليه ما
تحراني اشهد له بزواجه..

علق حينها منفعلاً وقد طار نعاسه : وانت عاجبتك سواته .. ضاقن
البنات مالقى الا هي .. ومجرجرتني اشهد له..

ثم التفت للذيب المتمل من تكرار الموضوع: والحين علمني ؟ وش
السواة مع جدتي علمتها ولا باقي حرام تلخمها ياخي..

اعتدل وقد وجد ما يتسلى به ويبدد ضيقه : اووووه .. هو انت م
دريت ؛ دخلت بنفسها لامي وقالت اناااا المهرة زوجة ولدك الذيب
ذباح ابوي...

ثم م لبث ان تعالت ضحكاته ما ان رأى الليث شرق بالشاي الذي
يتناوله حتى خرج من انفه .. وهو يصرخ بغضب : وش هووووو
.. وسكت لهاااا .. ما ذبحتهاا .. وتقولها لي وانت تضحك ..

حسبي الله .. مرتك ذي لا اشوفهااا لا ادبغهاا .. وطلعها من بيتي
ماتستاهله ولا تستاهل عطية مرتي...

يشاركه راهي في استفزازه الذي يعشق وهو يخبره : وازيدك من
الشعر بيت ؛ قلت لعمي دام لمحمد بنت باقية انا اولى فيها من
الغريب ؛ باخذها .. وخنم اني " الظاهر " بابني لها جنب بيتك دام
عمي الذيب فيه .. ينبسطن هي واختها جنب بعضهن..
اندفع واقفاً وملامحه المذهولة .. رسمت الابتسامة على محيا راهي
... ويعني انت وعمك نظامك اصوم اصوم وافطر على بصلة!
هذي اخرتهاااا .. ما لقيتن الا بناته .. ضاقت الارض ببنيتها ..
عمك ما على لسانه الا " امانة محمد و امانة محمد " لين ما طلع
الكلمة من خشمي خل يشبع فيهن وبامانتهن .. انت وش عذرك ..
بدل ما تجيب شيخة بنت شيخ تاخذ من بنات اللي بلوا عمك .. تبي
تجلطني انت..

شعر بذراع عمه وهي تسحبه للجلوس من جديد وقد غابت ابتسامته
: اجلس وروقنا بس وش مصحيك اصلا ما كنا رايقين انا وراهي
مستكنين..

رفع حاجبه مستنكراً .. وهو يسمع اسقاط راهي المستفز: يارجال
خله يهجد لا يغار الحين ويروح يشكيني لجدي يقول سرق عمي
مني .. فكنا منه تعرفه بزر..

ليعاود الجلوس .. وهو يدرك حماقات طفولته التي كان يفعلها
بخجل .. يسمع قول عمه:

ارتاح قلت له تاخذ بنت محمد وعيا .. قال لو مابقي من البنيت الا
هي .. ماخذتها .. وعاد الدور عليك تجيب له الشيخة بنت الشيخ..

لم يتمالك نفسه .. وهو يندفع مُقبلاً انف راهي : كفوووو عز الله
انك محزم ؛ خلنا من خبال عمك ماودك تجوز ونصكها كلها ثلاثتنا
بليلة وحدة بعد شهر..

لتأتيه ركلة مباغته من الذيب مُعلقاً ببرود : بعد شهر انا وهو ايه !

اما انت بعد اربعة..

وراهي يُعلق : الا صح .. علامها المرة رمتها بعد اربع اشهر ؟

وش انت مسوي حتى جحذتك..

تراقصتَ غيرته في عينيه لِذكرها من اخيه.. وهو يجيبه بانفعال
وقد تعكر مزاجه حقًا : مو شغلك ولا عاد تطريها ؛ و ترى باخطب
لك اخت عبدالعزيز ان ماهجت ودورت لك مره .. غثيتني شايب
هذا كبرك وش تنتظر يعني..

ليقطع معركة كادت ان تحدم بينهما الذيب .. وهو يقترح : خاطري

اسري المزرعة من يخاوي ؟

يندفع كلاهما بقوله : أنا..

والليث يسبقهم بحماسه مندفعًا لسيارته .. يتبعانه سويًا .. في رحلة
لم يكن ليرفضها احدٌ منهم ابداً بما ان من اقترحها ك " الذيب .. "

"عدني عكازك عن الطّيحَات والميله ، وتجود بي.."

فجرًا..

كانت قد انتهت من وترها ؛ وبقت في انتظار صلاة الفجر ولا تزال
ذكرى لقاءه بالأمس تُخرجها..

رفعت هاتفها لُتفتحه وتنتبه لوجود رسالة منه منذ نص الساعة..
ارتبكت وهي تفتح الدرشة لِتجد مجرد " عيون " قد بعثها لها ..
لترسل علامة استفهام..

ثوانٍ حتى اجابها بـ " وش مسهرك ؟ هقيتك نايمة.. "
لتجيب " كنت نايمة بس صحيت اوتر وانتظر الفجر.. "
ارفق صُورة لِمحادثته .. لترى صورة الخيل في مزرعتهم وتعرف
موقعه ؛ يُقر معترفًا:

كأنك م تعرفين ؛ هذي فرس سميتها الجفول .. سميتك " ..
لم تجد ما تُجيبه به .. ليتولى سؤالها بما ارقه ليلاً : ما عندك نية
ترحميني وتخليين العرسَ بعد شهر ؛ ترى من بعد شوفتك امس
ماني بطيب ؛ وافقي واوعدك تتعرفين علي مضبوووط لا اعرسنا
"

امتقع وجهها خجلاً .. وهي تجيب بـ " لا " .. ليحول موجة حديثه
لأخرى .. شيئاً فشيء كانت تندمج مع احاديثه .. حتى اذان
الفجر..

اخبرها قبل ان يستأذن للصلاة " جُفولي ؛ ترى عمي الذيب
موصيني انك تتوصين بمرته ارسلوا لها فطورها وغداها وتراها
بجناحه خرجوا من بيتنا الحمدلله ومطولين حنا ماراح نرجع الا بعد
العصر لا احد يستبطينا.. "

اغلقت هاتفها .. لُتصلي .. ثم وقع ع عاتقها اعداد الفطور للمهرة ..
فمهما يكن لاتزال ضيفة غريبة ووحيدة هنا..

تولت الامر واعدت لها افطارها .. ثم ذهبت به اليها بنفسها ..
طرقت الباب عدت مراتٍ حتى فُتح مُواربًا والمهرة تطل برأسها

من خلفه بارتياح .. لتخبرها هي بخجل : عمي موصيني اجيب لك
فطورك .. وغداك ؛ و هو راح يتأخر ويرجع العصر ..
فتحت الباب بفتور وهي تتناول الصينية منها : ماله داعي الكلافة
ولا تتعبين نفسك .. هذا يكفيني للغدا بعد .. مشكورة ما قصرتي
الجفول ..

رفعت حاجبها من معرفتها المُسبقة باسمها .. لتبتسم قبل ان تُغلق
الباب : شامتك مميزه ؛ ما تنسي ..
لتبتعد الجفول مبتسمة .. وهي تسمع غلق الباب من خلفها ؛ ويا
للعجب .. فالإنطباع الأول عن المهرة .. كان انها " لطيفة ... "

.

في ذات المنزل ..

قبل الظهر بقليل ؛ لم يكن قد استيقظ سوى نورة وزوجها الذي فر
هرباً بعد الفجر مع محمد الى المزرعة ..

لتبقى هي و ثلاجة القهوة و تلفازها على احدى القنوات التي
تعرض مجموعة من كبار السن يتبادلون القصص والاحاديث معاً
.. وعلى نقيض سابق الايام لم تتفاعل معهم وهي سارحة في عالم
تلك التي تنام في جناح ابنها ..

اعتدلت في جلستها وهي ترى الباب يُفتح .. و من خلفه تدلف ابنتها
عفراء وتتبعها الصغرى هيفاء و بجوارها ابنا الاكبر جواد الذي
اتى بهن ..

يقتربان منها للسلام .. لتسألها عفراء ب فضول:

هاه يمه ما انزلت ذي بعد امس ؟ والله ان باتت عيون الخاليق يا
ان عيني جفاها النوم مغببونة ؛ واكثر قهرتي من الذيب وش فيها
لو جانا و حط عندنا علم ؟ ما هو خبط لرق انا متزوجها وجايها

معه..

مدتها هيفاء فنجان القهوة وهي تنظر لها بحزم كي لا تزيد والدتهم
غضباً:

خذي يا ام ريان فنجانك تقهوي ؛ بلا حلفان كذب هذا عيونك
مدفنت من نومك..

اخرجت عفراء لمبالغاتها.. و هيفاء تلتفت لوالدتها بحنان : وين ابو
عبدالله عنك .. ؟ ما هي عوايده يخرج الضحى ويفوتك قهوة
الضحوية معك..

تشير بلا اهتمام : ابو عبدالله عارفين ان سواته امس ماهي بجايزتن
لي .. ما ان اصبح الصبح جر محمد معه ولحق المهبل يم المزراع
.. حتى راهي ما شاف اهله جت امه الفجر تقول ماشفناه
واستبطيناه ويوم دقوا الا هو معهم..

علق جياذ الذي كان مكتناً يتناول القهوة بهدوء : اي والله خياالانة ؛
اشوف الليث و محمد مصورين بالسنان .. لا واخذين ذبيحتهم
الليث بيذكيها..

ثم التفت لوالدته بحماس : بتجلسين يمه ؟ بالحقهم اجواءهم رهيبه

..

لم ترفض وهي تخبره : ايه يا امك بتغدا عند امي .. روح توكل
على الله..

اندفع خارجاً .. ليتصادف خروجه مع مالكة الفؤاد صُدفة و التي
تراجعت بخجل ما ان رأتة لكنه اكمل سيره مبتسماً سعيداً بـ
تراقص نبضاته..

يدلفن ثلاثتهن من بعد خروجه .. و تلك تضرب اختها بخفة على
كتفها : حمدلله والشكر انقلي ! اقصاه جياذ ولد عمتي..
لتدافع الجفول عنها وهي التي جربت لهيب الحُب يومياً : وجياذ
يعني مو مالي عينك..

تُبعد خصلاتها بملل وهي تتقدمهن : انا ما احب الخفة بالحب مافيه
مثل دق الثقل .. والرزه ؛ طالعة على اخوي حبيبي الليث شوفيه

من ملك ليومك ما كلمك ولا شافك..

في وقت سابق .. ربما ضايقها تندر بنة بحديثها ذا .. لكنها الآن
وقد استيقظت قبل دقائق على رسالته .. لم تمتلك الا ان تبتم
بصمت .. تبادل المتواجدا السلام ؛ ثم جلست و هي تسمع هيفاء
قائلة بتردد:

بس يمه البنية على ما طلعت امس مع ذيب وجناحه ماهو بمجهز
لا عيشة ولا قهوة ولا شي ؟ اقوم اجهز لها شي تاكله..
تُعلق هي قبل جدتها : امم عمي الذيب كلمني الفجر.. قال سوي
لها قهوة و فطور و وديته .. ووصاني ارقى لها بالغدا بعد..
انكمش جسدها من صراخ عفراء المنفعل : لاااا والله ما بقى الا
نتخدم لها بعد .. هذا اللي باقي..

لكن ضربة قوية باغتت فخذها من كف والدتها جعلتها تصمت
وهي تردف : اسمعيني زين ياالعفر هالخبال خلّيتس منه ؛ ولا لتس
شغل بمرّة اخوتس والله لو غثيتها بكلمة انتي ولا اي وحدثن فيتسن
اني لا اتوطاها بعصاتي..

ماهو على تالية العمر يقولون نورة م عرفت تربي بنياتها..
واخوتسن ايانى واياتسن تلهدنه بالهرج الماصخ انا ووليدي
نتصافى مالتسن شغل فينا...
ثم التفتت على الجفول : الغدا ازهميها تغدى معنا دام مابه من
العيال احد..

اومات لها بهدوء ليعود الصمت يسود المكان .. تكسره بنة
المنشغلة بهاتفها : اووووه .. وربي ياظهم مسوين لهم اجواء
بالمزرعة ! اليوم سناب الليث مشعل واضح مروق..
اخرجت هاتفها هي الاخرى .. لتفتح على سناب أخيها محمد وهي
متأكدة تماما انها لن تجد لليث صورة .. ليصدق ظنها وهي ترى
حماسه في تصوير كل شيء عدى الليث.. !

مدت الهاتف لـ غلا وهي تريها : شوفي رااااهي شوي ويصك
محمد بالجوال واضح متضايق من تصويره..

لتمد لها بنة هاتفها مقاطعة : اقوول انتي اللي شوفي ! دخلت
تويتر الا العالم متحمسة مع سنابات الليث .. والبنات صراحة ما
يوفرون احد اللي ميته على الليث واللي على راهي ... لااا
الصدمة وين شوفي هذي شتقول " ابو شعر طويل لو يتخن تكه
بيطلع واو " تقصد عمي..

عبست بضيق ككل مره ترى مثل هذه التعليقات النسائية على الليث
ولم تعلق وهي تستمر بـ مشاهدة سناب اخيها حتى انتهى..
ليقطعُ باتصال جعل من اوصالها ترتجف وهي تقف بهدوء دون
اثارة ريبة للاعلى..

لتجيب قبل ان يُغلق اتصاله بهدوء : هلا..
سمعت همسه وكأنه على عُجالة من امره .. " لو إن بنات الغيِّ
طابور طابور .. لا يلحقك في حب مغليك شكه"

توقفت خطواتها على اعتاب عُرفتها وهي تُردف بصدمة : كيف ؟
لتسمع صوته الهادىء الثخين بهمسه : كيف اللي كيف ؟ يعني ما
تدرين أني أحبك وان مالي بهوى من بنات حواء الا هواك انتي..
وصلته انفاسها المضطربة دون جواب .. ليجيبها قبل ان يغلق :
اليوم بالليل لا تنامين ؛ موعدنا بالحديقة اللي وري..
ثوانٍ حتى اغلق الهاتف .. لتدخل هي غرفتها .. بكفٍ مرتجف
وابتسامتها البلهاء تتسع : قال يحبني.. !!!!

" متطمئه ادري انا بـ قلب رجال
تطمئن انت .. اني انا أعشقتك إنت!
لو شافت عيونك من الوان و اشكال
بعدي أنا والله ما تعجبك بنت."

.

بدر..

الثانية بعد الظهر..

تتلحف بطانيتهما الحمراء والكأبة تُخيم على المكان مُنذ الأمس..
وقد اتصلت بابتنتها عدة مراتٍ دون جدوى والمهرة العصية تآبى
الجواب وهي تعاملها على مبدأ " تحملي ماجنت يداك " .. حتى
مُكالمة الذيب لها ليلاً .. والتي اخبرها انه سيمهل المهرة الوقت
لتقرر ويسري قرارها كما تريد لم تُطفىء من حرارة جوفها شيء

..

لقد كسرت قلبي ابنتيها بأنانية ؛ ولكن هذا ما يفترض ان يكون وقد
وكان..

مسحت دمة طارفة وهي تهمس لنفسها بـ قهر " الله يسامحك يا
محمد .. الله يسامحك .. لا ريحتني لا انت حي ولا انت ميت .. "
اعتدلت في جلستها وهي تقرب علبة الماء منها بعد ان اخذت
قُرص مسكن للصداع .. تتأمل الباب المغلق منذ الامس والزين
التي انزوت في غرفتها متعذرة برغبتها بالنوم وحتى الآن لم

تخرج..

امسكت الهاتف .. لتتصل ب ابنتها الغاضبة من جديد دون جدوى ..
ثوانٍ حتى وصلتها رسالة منها .. " تكفييييين يمه ارحميني ؛ ماني
قادرة ارد .. والله ماني قادرة .. ولا ابيك تزعلين مني .. خليني
متى ما هديت اتصل بك" ..

مسحت دموعها بصمت .. وهي لا تُلومها على الجفاء..

لترسل لها مقطع صوتي يتبين به بكائها:

خذي وقتك وانا امك .. يشهد الله ما بغيت الا الزين لكن كلكن ..
لكنها امانة ابوك وانا مالي حيلة لا تواجهنا عند الله يحاجني فيها
وراه ما قلتي لبنيتي وصيتي .. وانا ان غصبتك على الذيب
فاعرفي اني سافطة لك رجال ائتمنكم عنده وما اخاف عليكن من
بعدي..

لم ترى الرسالة ولم تُجبها .. لتستمر هي في تلك الهواجيس

وذكرى المكالمة الاخيرة المُودعة من زوجها

"يا فاطمة انا ماوعيت لنفسي الا وانا مندفن بذنوب وخطايا مامننا
رجعة ضيعتكن وضيعت نفسي وظلمت الذيب وهو ماله ذنب فيها
.. لكن وصاتي لك الذيب لاجاك بيوم خاطب زوجيه المهرة لو معه
ثلاث المهرة رابعتهن .. وسامحيني يافاطمة .. واطلبي الذيب
يسامحني... "

كفكفت دمعها .. وانقطع سيل ذكرياتها .. على رنين هاتفها و رقم
الذيب الظاهر على الشاشة جعلها تستجمع عبراتها مُجيبة : ارحب
يا ابو محمد..

لحظة صمت مرت .. حتى اردف : البقى يام المهرة ؛ كيف حالك
ان شاء الله طيبة...

اجابته بفتور .. : الحمدلله.. امرني..

:مايامر عليك .. انا متصل عليك وعندي شور ؛ كانه جاز لك
يامرحبًا وان ماجاز ما هنا خلاف ؛ كلمت لي رجال بكلية المهرة
ينقل لي اوراقها المدينة ؛ وان كان ودك نقلت اوراق الزين معها؛

و لا يهملك البيت ولا المسكن .. لي ارض عمرتها وفيها مستأجرين
وظلعوا ورممتها من جديد ولا سكنها احد عقب انا من اول ودي
فيكم عندي وحولي وهذا انسب شي اشوفه .. ماودي اعرف رايك
الحين .. شاوري بنيتك هي وش اللي تبنيه وردني لي..

هممت بكلمات لم يفهمها .. ليغلق .. وهي تسهى بفكرها هل
ستدومي قلب ابنتها الكبرى اكثر وافقت واختارت ان يكون يقربهم ؛
ام تُرجح كفة القرب و البقاء مع ابنتها الصغرى .. !!!

وأن كان ما زانت صواديف الأيام
نصبر على صكاتها..